مؤسسة القديس أنطونيوس
مركز دراسات الآباء

المقالة الثالثة

ضد الآريوسيين

الشهادة الإلهية للمسيح

للقديس أثناسيوس الرسولى

www.christpal.com

ترجمة
الأستاذ مجدى وهبة صموئيل و الدكتور نصحى عبد الشهيد

نوفمبر1994

اسم الكتاب : "المقالة الثالثة ضد الآريوسيين" (الشهادة لألوهية المسيح)

اسم المؤلف: القديس أثناسيوس الرسولى

المترجمان: الأستاذ مجدى وهبة والدكتور نصحى عبد الشهيد

اسم الناشر : مؤسسة القديس انطونيوس

8 شارع إسماعيل الفلكى - ميدان المحكمة مصر الجديدة

ت : 2414023

الطباعة : المركز المصرى للطباعة

54 تقسيم رئاسة الجمهورية - الزيتون

ت : 4544946

رقم الإيداع: 9297 / 94

الترقيم الدولى : **ISBN 977 – 5057 12-4**

مقـــدمـــة

هذه هى "المقالة الثالثة ضد الآريوسيين" التى كتبها القديس أثناسيوس دفاعاً عـــن ألوهيـــة المسيح من خلال شرحه الدقيق لنصوص الكتاب المقدس التى حاول الآريوســـيون أن يحرقـــوا معناها للطعن فى ألوهية المسيح. وهو بذلك يكمل دفاعه وشهادته لألوهية المسيح فى المقـــالتين الأولى والثانية ضد الآريوسيين اللتين صدرتا فى 198، 1987 على التوالى.

ونذكر القارئ مرة أخرى أن القديس أثناسيوس يستخدم الترجمة السبعينية اليونانية للعهـــد القديم فى الآيات التى يستشهد بها من العهد القديم وقد وضعنا حرف س بعد الشاهد للدلالة علـــى أن الآية المقتبسة هى من الترجمة السبعينية.

مصدر الترجمة:

النص اليونانى "للمقال الثالثة ضد الآريوسيين" ظهر فى المجلد 26 من مجموعـــة الآبـــاء مينى باليونانية (M. P g. 26 : 421 – 468)

ونفس النص اليونانى الذى تمت عنه هذه الترجمة منشور فى "سلسلة آباء الكنيسة E. P. E" "أعمال أثناسيوس الاسكندرى الكبير مجلد 3 " إصـــدار مكتبـــة "غريغوريـــوس بالامـــاس" تسالونيكى اليونانى سنة 1975.

وقد تمت مقارنة الترجمة بالترجمة الإنجليزية التى أنجزهـــا العـــالم الكاردينـــال نيومـــان المنشور بالمجلد 4 من سلسلة "آباء نيقية وما بعد نيقيـــة" المجموعـــة الثانيـــة N. P. N 2 nd Series.

ولإلهنا الحى القدير يسوع المسيح المجد والسجود مع أبيه الصالح والروح القدس الثـــالوث القدوس الواحد، الآن وإلى الأبد. أمين.

30 توت 1711 ش (10 أكتوبر1994)

تذكار الآية التى صنعها الرب مع القديس أثناسيوس الرسولى

المحتويات

مقدمة 5

الفصل الثالث والعشرون: شرح نصوص: يوحنا 10:14

"أنا فى الآب والآب فىّ" 9

الفصل الرابع والعشرون: شرح نصوص: يوحنا 3:17

"أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته" 20

الفصل الخامس والعشرون: شرح نصوص: يوحن 30:10، 1:12

"أنا والآب واحداً، "ليكونوا واحد كما نحن" 26

الفصل السادس والعشرون: مقدمة لشرح آيات من الأناجيل عن التجسد 53

الفصل السابع والعشرون: شرح نصوص يوحنا 35:3ومتى 27:11ذ

"لان الآب يحب الابن وقد دفع كل شئ فى يده"

"كل شئ قد دفع إلىّ من أبى" 68

الفصل الثامن والعشرون: شرح نصوص: مرقس 3:13، لو52:2

(معرفة الإبن لليوم والساعة، التقدم فى النعمة والحكمة). 78

الفصل التاسع والعشرون: شرح نصوص: متى39:26، يوحنا27:12

"إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس"

"لأن نفسى قد إضطربت" 96

الفصل الثلاثون: تكملة الإعتراضات والرد عليها 104

الفصل الثالث والعشرون

شرح نصوص: يو10:14
"أنا فى الآب والآب فىّ"

1- يبدو أن المجانين الآريوسيين إذ قد قرروا أن يقبلوا آراء آريوس ويحتضونها وأن يصيروا مقاومين للحق والمخالفين له فأنهم يسعون بإصرار لكى يجعلوا كلمات الكتاب: "عندما يصل الشرير إلى عمق الشر يسلك بإحتقار" (أم3:18س) تنطبق عليهم. فهم لا يتوقفون عندما ندحض ضلالهم، ولا يخجلون عندما يكونوا فى حيرة كأن لهم "وجه زانية" فإنهم فى كفرهم، لا يخجلون أمام جميع الناس".

(أنظر أر 3:3).

فبينما هم يدعون الرب بهذه النصوص. "الرب خلقنى" (أم 22:8)[1]، صائراً أعظم من الملائكة" (عب4:1)[2]، و"البكر" (رو29:8، كو15:1)[3] و"كونه أمينا للذى أقامه" (عب2:3)[4].

وأنا لا أفهم كيف لا يزال هؤلاء الناس بتأثير سم الحية لا يبصرون ما ينبغى أن يبصروه ولا يفهمون ما يقرأونه وكأنهم إذ يتقيأون من عمق قلبهم عديم التقوى، فأنهم بدأوا يحرقون معنى كلمات الرب: "انا فى الآب والآب فى" (يو10:14)، قائلين "كيف يمكن أن يحتوى الواحد الآخر والآخر يحتوى فى الأول"؟ أو كيف يمكن يحتوى الآب الذى هو أعظم، فى الإبن الذى هو أقل منه؟ "أو" أى غرابة أن يكون الإبن فى الآب، طالما أنه مكتوب عنا نحن أيضاً "به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع28:17).

---

[1] أنظر المقالة الثانية فصل 19. الترجمة العربية ص 72.

[2] أنظر المقالة الأولى فصل 13 الترجمة العربية ص 98.

[3] أنظر المقالة الثانية فصل 21 الترجمة العربية ص 99.

[4] أنظر المقالة الثانية فصل 4 الترجمة العربية ص 9.

هذه الضلالة فى التفكير ناتجة عن إنحراف ذهنهم، فهم يظنون أن الله مادى، ولا يعرفون من هو "الآب الحقيقى" ولا الإبن الحقيقى"، ولا ما هو "النور غير المنظور والآزلى"، "واشعاعه غير المنظور"، ولا يفهمون "ما هو الكيان غير المنظور و"الرسم غير المادى" و "الصورة غير المادية".

لأنهم لو عرفوا، لما جدفوا على رب المجد ولا سخروا منه، وأما فسروا الأمور غير المادية بطريقة مادية، ولما حرفوا الكلمات المستقيمة.

فقد كان يكفى عند سماعهم كلمات الرب أن يؤمنوا بها حيث أن الإيمان البسيط هو أفضل من الإحتمالات التى يفترضونها هم بفضولهم.

ولكن حيث أنهم قد حاولوا تشويه هذه الآية لخدمة هرطقتهم فقد أصبح من الضرورى أن نفند ضلالهم، من ناحية، وأن نوضح المعنى الحقيقى للآية من ناحية أخرى، وذلك لأجل سلام المؤمنين وحفظهم لأنه عندما يقول "أنا فى الآب والآب فى" فهذا لا يعنى كما يظن هؤلاء أن الواحد يفرغ ذاته فى الآخر ليملأ الواحد منهما الآخر، كما يحدث فى الأوانى الفارغة. حتى أن الإبن يملأ فراغ الآب، والآب فراغ الإبن، وكأن كلا منهما ليس تاما ولا كاملاً فى ذاته فهذه هى خاصية الأجساد. ولذلك فإن هذا القول، هو أكثر من الكفر لأن الآب هو تام وكامل" والإبن كذلك هو ملء اللاهوت. وما يحدث مع القديسين عندما يحل الله فيهم ويكلمهم، هذا لا يحدث فى حالة الإبن إذ هو قوى الآب وحكمته فالمخلوقات بإشتراكها فى الابن، تتقدس فى الروح، أما الإبن نفسه فهو ليس إبنا بالمشاركة، بل هو مولود الآب الذاتى.

وأيضاً لا يوجد الابن فى الآب بالمعنى الذى فى الآية، فيه نحيا، ونتحرك، ونوجد"، لأن الإبن لكونه من ينبوع الآب "فهو الحياة، الذى به تحيا وتقوم كل الآشياء، لأن الحياة لا تحيا من حياة (أخرى)، وإلا فهى لا تكون عندئذ حياة. فالابن هو الذى يعطى الحياة لكل الأشياء.

2- دعونا نفحص أذن ما يقولن السفسطائى أستيريوس[5]، المدافع عن الهراطقة فهو إذ يتمثل باليهود يكتب ما يلى: "إنه واضح جداً أنه قد قال: أنا فى الآب والآب أيضاً فى، لهذا السبب فلا الكلمة التى كان يقولها هى كلمته بل كلمة الآب، ولا الأعمال هى خاصة به بل خاصة بالآب، الذى أعطاه القوة". فلو كان الذى قال هذا القول هو طفل صغير لإلتمسنا له العذر بسبب صغر سنه، ولكن لأن من كتب هذا يسمى حكيماً ويزعم إن له معرفة كبيرة فكم يكون مقدار اللوم الذى يستحقه؟ وكيف لا يبدو غريباً تماماً عن الرسول طالما هو ينتفخ بكلام الحكمة

---

[5] أحد أتباع آريوس وتلاميذه.

الإنسانية المقنع (1كو 4:2) ويظهر بهذا أنه يستطيع أن ينجح فى خداعه، بينما هو لا يفهم ما يقوله. ولا ما يقرره؟ (1تيم 7:1) لأن ما قد قاله الإبن هو خاص فقط بمن هو ابن ولائق به. فهو كلمة جوهر الآب وحكمته وصورته وهذا الذى قاله الإبن، يجعله أستير بوس خاصاً أيضاً بكل المخلوقات ومشتركاً بين الإبن والمخلوقات. ويقول المخالف إن الذى هو قوة الآب، ينال قوة، ويواصل كفره فيقول إن الإبن صار إبناً[6]، فى إبن، وأن الكلمة أخذ سلطان حكمته، وهو لا يريد أن يعترف إن "الإبن تكلم بهذا بإعتباره إبنا بل هو يحصيه مع كل المخلوقات كأنه قد تعلم هذا الكلام كما تعلمته المخلوقات، فالإبن قال، "أنا فى الآب والآب فىّ"، بسبب أن كلماته لم تكن خاصة به بل بالآب، هكذا أيضاً أعماله. وداود يقول" "إنى سأسمع ما يتكلم به الرب الإله لى (مز 8:84س) وأيضاً سليمان "كلماتى قد قبلت من الله ش، (أنظر 1 مل4:10) وموسى كان خادماً للكلمات التى من الله، وكل واحد من الأنبياء لم يتكلم مما له ب لمما أخذه من الله، قائلين "هكذا يقول الرب". وحيث أن الاعمال التى عملها القديسون كما أعترفوا هم أنفسهم لم تكن أعمالهم الخاصه بل أعمال الله الذى أعطاهم القوه. فإيليا وإليشع مثلاً يطلبان إلى الله أن يقيم هو الأموات. وعندما طهر إليشع نعمان من البرص قال له "لكى تعرف أنه يوجد إله فى إسرائيل" (أنظر 2 مل15:5) وصموئيل أيضاً يصلى فى أيام الحصاد لكى يرسل الله المطر. والرسل قالوا أنهم يصنعون العجائب لا بقوتهم الخاصه بل بنعمه الرب.

3- لكن لو كان الرب كذلك أما كانت كلماته هى "أنا فى الآب والآب فىّ، بل بالآحرى كان قد قال "أنا أيضاً فى الآب والآب فى"، لكى لايكون له أى شئ خاص به أو مميز به كإبن عن الآب بل يكون له نفس النعمة المشتركة مع جميع (المخلوقات) ولكن الأمر ليس كذلك، كما يظن هؤلاء. وإذ هم لا يفهمون أنه ابن حقيقى من الآب فأنهم يفترون عليه، الذى هو الإبن الحقيقى والذى يليق به وحدة أن يقول. "أنا فى الآب والآب فىّ". لأن الإبن هو فى الآب بحسب ما يسمح لنا أن نعرف - لأن كل كيان الإبن هو من جوهر الآب ذاته. كمثل الشعاع من النور، والنهر من الينبوع. حتى أن من يرى الإبن يرى ما هو خاص بالآب، ويعرف أنه بسبب أن كيان الإبن هو من الآب لذلك فهو فى الآب. لأن الآب هو فى الأبن حيث أن الإبن هو من الآب وخاص به مثلما أن الشعاع هو من الشمس والكلمة هى من العقل والنهر من الينبوع. ولذلك فأن

[6] خلاصة فكر أستيريوس أن الأبن ليس من جوهر الآب ولذلك فهو يقول عن الأبن أنه ينال القوه من الله مثل باقى المخلوقات وليس هو قوة الله ذاتها ذلك أن الأبن ليس ابناً لله بالطبيعة بل هو يصير إبناً بالتبنى مثل باقى المخلوقات – وهذا هو معنى كلمه "فى إين، أى لم يكن هو إبناً لله أصلاً وكذلك لا يكون الإبن هو كلمة الله بالطبيعه بل يأخذ سلطان الكلمة مثل الأنبياء الذين أتت إليهم كلمه الله وهم مخلوقين.

من يرى الإبن، ويرى ما هو خاص بجوهر الآب، يعرف أن الآب هو فى الإبن. وحيث أن ذات الآب وألوهيته هى كيان الإبن، لذلك فإن الإبن هو فى الآب والآب فى الإبن لهذا السبب كان من الصواب أن يقول أولاً:

"أنا والآب واحد" (يو30،10)، وبعد ذلك يضيف "أنا فى الآب والآب فىّ" (يو30،14) لكى يوضح وحدة الألوهية من ناحية، ووحدة الجوهر من الناحية الآخرى.

4- إذن فهما واحد، ولكن ليس مثل الشئ الواحد الذى يمكن أن ينقسم إلى جزئين، كما أنهما ليسا مثل الواحد الذى يسمى بإسمين، فمرة يسمى الآب ومرة أخرى يسمى هو نفسه إبنه الذاتى، فهذا ما قال به سابيليوس[7] وبسببه حكم عليه كهرطوقى.

لكن هما إثنان لأن الآب هو الآب ولا يكون أبناً أيضاً، والإبن هو إبن ولا يكون أباً أيضاً. لكن الطبيعة هى واحدة، لأن المولود لا يكون غير مشابه لوالده لأنه صورته، وكل ما هو للأب هو للإبن (يو16:15).

ولهذا بالإبن ليس إلهاً آخراً، لأنه لم ينشأ من خارج (الآب) وإلا فسيكون هناك آلهة كثيرون لو أن إلهاً نشأ غريباً عن ألوهية الآب، لأنه رغم أن الإبن هو آخر غير الآب كمولود، إلا أنه كإله هو كالآب تماماً. فهو والآب كلاهما واحد فى الذات، وواحد فى خصوصية الطبيعة، وفى وحدة الألوهية كما سبق أن قلنا حيث أن الشعاع هو النور وليس ثانياً بعد الشمس، ولا هو نور آخر، ولا هو ناتج من المشاركة مع النور، بل هو مولود كلى وذاتى من النور ومثل هذا المولود هو بالضرورة نور واحد ولا يستطيع أحد أن يقول أنه يوجد نوران، فرغم أن الشمس والشعاع هما أثنان إلا أن نور الشمس الذى ينير بشعاعه كل الأشياء، هو واحد.

هكذا أيضاً لاهوت الإبن هو لاهوت الآب ولهذا أيضاً فهو غير قابل للتجزئة، ولذا فإنه يوجد إله واحد وليس آخر سواه. وهكذا حيث أنهما واحد، والألوهية نفسهما واحده فكل ما يقال عن الآب يقال هو نفسه عن الآبن ما عدا أن كيانه يدعى الآب: فمثلاً يقال عنه أنه الله (كما يقال عن الآب)، "وكان الكلمة الله" (يو1:1).

وأنه ضابط الكل "الذى كان والكائن والذى يأتى الضابط الكل" (رؤ1:8). وأنه "الرب" "رب واحد، يسوع واحد" (1كو8:6). وأنه هو النور "أنا هو النور" (يو8:12). وأنه يمحو

[7] سابيليوس –ظهر فى روما فى أوائل القرن الثالث وعلم بأن الآب والابن والروح القدس هم أقنوم واحد وليسوا ثلاثة أقانيم متحدين جوهرياً. وقال أن الآب أعطى الناموس فى العهد القديم ثم ظهر هو نفسه بأسم الروح القدس، أى أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية فى التاريخ لشخص واحد، وليس ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد.

الخطايا "لكى تعلموا أن لإبن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا" (لو5:24)، وهكـذا أيضاً بالنسبة للصفات الآخرى. لأن الإبن نفسه يقول "كل ما للآب هو لىّ" (يو16:15). وأيـضاً يقول "وكل ما لى فهو لك" (يو17:10).

5- وعندما نسمع هذه الصفات التى للآب تقال عن الإبن، وحينما يقال عن الإبن، ما يقال عن الآب أيضاً، فسوف نرى عندئذ الإبن فى الآب. ولماذا تنسب صـفات الآب للإبـن إلا لأن الإبن مولود منه؟ ولماذا يكون كل ما للإبن هو نفسه للآب إلا بسبب أن الإبن هو مولود جوهره الذاتى؟.

ولأن الإبن هو مولود الجوهر الذاتى للآب، لهذا يحق له أن يقول إن خصائص الآب هـى خصائصه أيضاً، لذلك فبطريقة مناسبة ومتوافقة مع قوله "أنا والآب واحد" (يو10:35)، يـضيف قائلاً "لكى تعلموا أنى أنا فى الآب والآب فى" (يو10:38).

وأكثر من ذلك فقد أضاف مرة أخرى "من رآنى فقد رأى الآب" (يـو14:9). وفـى هـذه الأقوال الثلاثة يوجد هذا المعنى الواحد نفسه. فالذى يدرك، بهذا المعنى، أن الإبـن والآب همـا واحد يعرف جيداً أن الإبن هو فى الآب والآب فى الإبن، لأن لاهوت الإبن هو لاهـوت الآب، والآب هو فى الإبن، ومن يدرك هذا، فإنه يقتنع أن "من رأى الإبن فقد رأى الآب"، لأن ألوهيـة الآب ترى فى الإبن.

وهذا ما يمكن أن نفهمه من مثال صورة الأمبراطور، حيث يوجـد شـكل الامبراطـور وهيئته فى الصورة، والهيئة التى فى الصورة هى التى فى الأمبراطور، لأن ملامح الأمبراطور فى الصورة، هى مثله تماماً حتى أن من ينظر إلى الصورة يرى الامبراطور فيها، وأيضاً مـن يرى الامبراطور، يدرك أنه هو نفسه الذى فى الصورة. وبسبب عدم إختلاف الملامح، فإن مـن يريد أن يرى الإمبراطور بعد أن رأى الصورة، يمكن أن تقول له الصورة "أنـا والإمبراطـور واحد"، لأنى أنا فى الامبراطور، والامبراطور فى، وما تراه أنت فىّ هذا تراه فيه، وما قد رأيته فيه تراه فىّ. وتبعاً لذلك فمن يسجد للصورى فهو يسجد للإمبراطور أيضاً فيها لأن الصورة لها شكله وهيئته. إذن بما أن الإبن أيضاً هو صورة الآب فينبغى أن يكون مفهومـاً بالـضرورة أن الوهية الآب وذاته هى كيان الإبن وهذا هو ما قيـل عنـه "الـذى إذ كـان فـى صـورة الله" (فيلبى2:6)، و"الآب فىّ" (يو14:10).

6- وليس كيان الإبن هو جزء من صورة هذه الألوهية بل إن ملء إلوهية الآب هو كيان الإبن، فالإبن هو إله كامل. لذلك أيضاً إذ هو مساوٍ لله، فإنه "لم يحسب المساواة بـالله غنيمـة"،

وأيضاً حيث أن ألوهية الإبن وصورته ليست شيئاً آخر غير ألوهية الآب وهذا هو ما يقوله، "أنـــا فى الآب" لذلك "كان الله فى المسيح مصالحا العالم لنفسه" (2كو19:5). لأن الإبن هـــو جـــوهر الآب ذاته، الذى بواسطته تصالحت الخليقه مع الله، وهكذا فالأعمال التى عملها الإبن هى أعمال الآب لأن الإبن هو صورة لاهوت الآب التى عملت الأعمال ولذا فمن ينظر إلـــى الإبـــن يـــرى الآب لأن الإبن يوجد ويرى داخل ألوهية الآب، وصورة الآب التى فى الإبن تظهر الآب فيـــه. ولذلك فالآب هو فى الإبن. وتلك الخاصية والالوهية التى من الآب فى الإبن ترينا الإبـــن فـــى الآب وتوضح أنه غير منفصل عنه على الإطلاق. فمن يسمع ويرى أن مـــا يـــزداد بالنعمـــة أو بالمشاركة بل بمعنى أن كيان الإبن نفسه هو المولود الذاتى لجوهر الآب - عندئذ ســـوف يفهـــم حسنا الآيات:

"أنا فى الآب والآب فىّ" و "أنا والآب واحد" إذن فالإبن هو كالآب تماماً لأن له كل ما هو للآب. لذلك فعندما يذكر الآب يشار ضمناً أيضاً إلى الأبن معه.

لأنه لم يكن هناك أبن فلا يستطيع أحد أن يقول أن هناك آب. بينما حينما ندعو الله صانعاً فهذا ليس بالضرورة إعلاناً منا أن مصنوعاته قد أتت إلى الوجود، لأن الـــصانع موجـــود قبـــل وجود مصنوعاته ولكن حينما ندعو الله أباً فنحن نعنى فى الحال وجود الابن فى الآب. لذلك فمن يؤمن بالإبن يؤمن بالآب أيضاً: لأنه يؤمن بما هو خاص بجوهر الآب. وهكذا يكون إيمان واحد بإله واحد. ومن يسجد للإبن ويكرمه، فهو فى الإبن يسجد للآب ويكرمه.

إذ أن الألوهية هى واحدة، ولذلك فألإكرام والسجود اللذان يقدمان إلى الآب فى الإبن وبه، هما واحد. ولهذا فالذى يسجد إنما يسجد لإله واحد، لأنه يوجد إله واحد وليس آخر سواه. ولذلك فحينا يسمى الآب الإله الوحيد، ونحن نقرأ أنه يوجد "إله واحد" (مر29:12)، و"أهيا=أنا هو = أنا أكون" (خر14:3)، "ليس إله معى" (تث39:32)، و"أنا الأول وأنا الآخر" (اش6:44) "كل هذا لـــه معنى ملائم. لأن الله واحد وهو الوحيد وهو الأول، ولكن هذا لا يقال بقصد إنكار الإبن، حاشـــا، لأن الإبن هو فى ذلك الواحد والوحيد والأول، لكونه الكلمة الوحيد والحكمة والشعاع الذى مـــن ذاك الواحد والوحيد والأول.

فالإبن أيضاً هو الأول إذ هو ملء لاهوت الأول والوحيد. إذ هو إله كامـــل وتـــام. فهـــذه الأقوال التى أشرنا إليها عن "الإله الواحد الوحيد والأول" لم تقل لإستبعاد الإبن، بل لكى تـــستبعد أنه يوجد إله آخر غير الآب وكلمته. هذا هو غذن معنى كلام النبى وهو واضح وظاهر للكل.

الفصل الرابع والعشرون

شرح نصوص: يو3:17
"أنت الإله الحقيقى وحدك
ويسوع المسيح الذى أرسلته"

7- ولكن بسبب أن عديمى الإيمان يستخدمون هذه الآيات أيضاً ويجدفون على الرب، ويوبخوننا قائلين (طالما أن الله يدعى الواحد والوحيد والأول، فكيف تقولون إن الإبن هو الله؟ لأنه لو كان هو الله لما كان الله قد قال "ليس إله معى" (تث32،39) ولا "الهنا واحد" (تث6،4) لذلك فمن الضرورى أن نوضح معنى هذه الآيات، بقدر الأمكان، لكى يعرف الجميع من هذه الآيات أيضاً أن الآريوسيين هم فى الحقيقى محاربون لله.

لأنه لو كان الإبن منافساً للآب إذن لكانت هذه الكلمات قد قيلت ضده، ولو أنالآب ينظر إلى الإبن مثلما حدث لداود حينما سمع عن أدونيا وأبشالوم[8]، إذن لكان قد نطق بهذه الآيات عن نفسه، لئلا عندما يقول الإبن عن نفسه أنه إله، يجعل البعض يتمردون على الآب اما إن كان من يعرف الإبن ،يعرف الاب بالحرى ، والإبن هو الذى يكشف له الآب فى الكلمة، كما مكتوب. وإن كان الإبن فى مجيئه لم يمجد نفسه بل مجد الآب، إذ قال لواحد قد جاء إليه، "لماذا تدعونى صالحاً؟ ليس أحد صالح، إلا واحد وهو الله" (لو19:18)، ورداً على سؤال من سأله ما هى الوصية العظمى فى الناموس قال "اسمع يا أسرائيل الرب ألهك رب واحد هو (مر29:12).

وقال للجموع " قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى" (يو38:6)، وعلم التلاميذ قائلاً "أبى أعظم منى" (يو28:14) وأيضاً "الذى يكرمنى يكرم الذى أرسلنى" (يو23:5، 20:13) فإن كان موقف الإبن تجاه أبيه هو هكذا، فما هى الصعوبة التى تجعل أى واحد يتخذ مثل ذلك المعنى عن هذه الآيات؟

---

[8] أنظر 2صم 15:1-19، 41، 1 مل 5:1 للآخر

يشير القديس أثناسيوس هناإلى تمرد إبشالوم وأدونيا أولاد داود الأثنين علىأبيهما لأغتصاب الملك منه، وهو يذكر هذا المثل من العهد القديم، لكى يبين أنالإبن ليس منافساً لآب كما ينافس الأبنان المتمردانأباهم الملك، ويحاولان أن يبعدا الشعب عنه.

ومن الناحية الآخرى إن كان الإبن هو كلمة الآب فمن هو الذى بهذه الدرجة من الحماقة إلى جانب محاربى المسيح أولئك – حتى يظن أن الله قد تكلم هكذا لكى يطعن فى كلمته وينكره؟ فليس هذا هو تفكير المسيحيين، حاشا! لأن هذه (الآيات) لم تكتب ضد الإبن، بل لكى يستبعد الآلهة الكاذبة التى أخترعها البشر. ولهذا يكون معنى مثل هذه الآيات، سليماً.

8- وبسبب أن أولئك الذين يتعبدون الآلهة الكاذبة، يبتعدون عن الإله الحقيقى، لذلك فلأن الله صالح ومعتن بالبشر فهو ينادى الضالين مرة أخرى، ويقول: "أنا هو الأله وحدى" و"أنا هو" و "ليس إله معى" وكل الآيات التى مثلها، وذلك لكى يحكم على الأشياء التى لا كيان لها من ناحية ويحول البشر إلى نفسه من الناحية الآخرى. وكما لو أفترضنا أن شخصاً ما أثناء النهار وبينما الشمس ساطعة يرسم رسما بدائياً على قطعة من الخشب، وليس لهذا الرسم أية علاقة بشكل النور، ثم يقول عن ذلك الرسم أنه سبب النور، فإن كانت الشمس عندما ترى هذا الرسم يمكنها أن تقول "أنا هو نور النهار وحدى وليس هناك نور آخر للنهار سواى" بينما هو يقول هذا ليس عن شعاعها، بل عن رسمه الردئ على الخشب وعن خياله الباطل الذى زيف الحقيقة.

هكذا الأمر أيضاً بخصوص "انا هو"، "أنا هو الإله وحدى" و "وليس إله معى"، فهو يقول هذا لكى يجعل الناس يتركون الآلهة الكاذبة ولكى يعرفوا بالحرى أنه هو الإله الحقيقى، وحينما قال الله هذا، فبلا شك أنه قاله بواسطة كلمته الذاتى، هذا أن لم يضف اليهود المعاصرون[9] قائلين إنه لم يقل هذ بواسطة كلمته. ولكنى بالرغم مما يهذى به أتباع الشيطان هؤلاء، فإن الله قد تكلم بواسطة كلمته لأن كلمة الرب قد صارت إلى النبى. وهذا هو ما سمعه النبى من (الكلمة). فإذا كان هذا قد قيل بواسطة الكلمة إذن فلا يقول الله شيئاً أو يفعله إلا ويقوله ويفعله بالكلمة. لذلك فيا محاربى الله إن هذه الآيات ليس موجهه ضد الإبن، بل ضد الأشياء الغريبة عن الله، والتى ليست منه. لأنه بحسب الصورة التى سبق وأشرنا إليها، إن كانت الشمس قد تكلمت بتلك الكلمات فإنها لم تقلها كأن شعاعها غريب عنها إذ هى تظهر نوراً فى شعاعها ولكنها تكون قد قالتها لكى تكشف الخطأ وتصححه. لذلك فمثل تلك الآيات ليس لأجل إنكار الإبن ولا هى قيلت عنه، بل هى قيلت لطرح الضلال بعيداً.

وبناء على ذلك فإن الله لم يكلم آدم بمثل هذه الأقوال فى البداية، رغم أن الكلمة الذى بواسطته خلقت كل الآشياء كان معه، إذ لم تكن هناك حاجة إلى ذلك لأن الأوثان لم تكن قد

---

[9] يستعمل القديس أثناسيوس عبارة "اليهود المعاصرون" ليعبر بها عن الآريوسيين (أنظر المقالة الأولى فصل 8 ص21، فصل 10 ص24 والمقالة الثانية فصل 1ص10.

وجدت بعد. لكن حينما قام الناس ضد الحق ودعوا لأنفسهم آلهة مثلما أرادوا، حينئذ نشأت الحاجة لمثل هذه الأقوال، لأجل إنكار الآلهة التى لا كيان لها. بل أود أن أضيف أنها قد قيلت مسبقاً عن حماقة محاربى المسيح هؤلاء، ولكى يعرفوا أن أى إله يخترعونه غريباً عن جوهر الآب، ليس إلهاً حقيقياً، ولا هو صورة وإبن الأول والوحيد.

9- إذن فإن كان الآب قد دعى الإله الحقيقى الوحيد فهذا لا يعنى إنكار هذا الذى قال "أنا هو الحق" (يو6:14) بل يعنى إنكار أولئك الذين ليسوا بطبيعتهم حقيقيين، مثل الآب وكلمته، ولهذا فقد أضاف الرب مباشرة. "ويسوع المسيح الذى أرسلته". (يو3:17). وعلى هذا فلو أنه كان مخلوقاً لما أضاف هذه الكلمة وأحصى نفسه مع الخالق، فإية شركة تود بين الحقيقى وغير الحقيقى؟

ولكن الإبن إذ أنه أحصى نفسه مع الآب، فقد أظهر أنه من طبيعة الآب نفسها، وأعطانا أن نعرف أنه المولود الحقيقى من الآب الحقيقى. وهكذا أيضاً تعلم يوحنا وعلم هذا كاتباً فى رسالته "ونحن فى الحق فى إبنه يسوع المسيح هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (1يو20:5).

وحينما يقول النبى عن الخليقة "الذى بسط السماء وحده" (أيوب 8:9) وحينما يقول الله "أنا وحدى باسط السماء" (أش24:44) يصير واضحاً للجميع أن لفظة (وحده) تشير أيضاً إلى "الكلمة الخاص بالوحيد"، الذى به خلقت كل الأشياء وبغيره لم يخلق شئ. لذلك إن كانت كل الآشياء قد خلقت بالكلمة، ومع ذلك يقول "أنا وحدى" فإنه يعنى أن الأبن الذى به خلقت السموات، هو مع ذلك الوحيد.

هكذا إن قيل "إله واحد"، "أنا وحدى"، "أنا الأول" فهذا يعنى أن الكلمة موجود فى نفس الوقت فى ذلك الواحد الوحيد والأول مثل وجود الشعاع فى النور. وهذا لا يمن أن يفهم عن أى كائن آخر سوى الكلمة وحده. لأن كل الأشياء الأخرى خلقت من العدم بواسطة الإبن. وهى تختلف إختلافاً كبيراً جداً فيما بينها من جهة الطبيعة، أما الإبن نفسه فهو مولود حقيقى وطبيعى من الآب.

ولهذا فهذه العبارة: "أنا الأول" التى إقتبسها هؤلاء الأغبياء لكى يدعموا بها هرطقتهم، هى بالحرى تفضح نيتهم الشريره لأن الله يقول "أنا الأول وأنا الآخر" (أش6:44) إذن فإن قلتم إنه الأول بالنسبة للأشياء التى أتت بعده كما لو كان محصى معها، لكى تأتى تلك الأشياء تاليه له إذن فأنتم تظهرون أنه هو نفسه يسبق الأعمال المخلوقة زمنياً فقط، وهذا وحده يفوق كل كفر.

ولكنه لكى يبرهن أنه لم يأخذ بدايته من أى شئ، ولا يوجد شـــئ قبلـــه ولكـــى يـــدحض الأساطير الوثنية، ولكى يبين أنه هو البداية والعلة لكل الأشياء، قال "أنا الأول" أنه واضح أيـــضاً أن تسمية الأبن "بالبكر" هذه لم تعط فقط له لأجل إحصائه مع المخلوقات، بل لكـــى تبـــرهن أن خلق كل الأشياء وتبنيها إنما تم بواسطة الأبن. لأنه كما أن الآب هو الأول، هكذا أيـــضاً "الإبـــن أيضاً هو الأول كصورة الأول تماماً، وبسبب أن الأول موجود فيه، وهو أيضاً وليد الآب، الـــذى به تم خلق كل الخليقة وتبينها.

الفصل الخامس والعشرون

شرح نصوص: يو30:10، يو11:17

"أنا والآب واحد""ليكونوا واحد كما نحن"

10- ولكنهم يعرضون خرافاتهم المصنعة ويدعون أن الأبن والآب لا يمكن أن يكونا "واحدا" أو "متماثلين" بالصورة التى تعلم بها الكنيسة، بل بالطريقة التى يريدونها هم. إذ يقولون إن ما يريده الآب يريده الإبن أيضاً. وهو غير مضاد له لا فى الفكر ولا فى القرار، ولكنه هو موافق له من جميع الوجوه، وهو يعلن التعاليم نفسها مثل الآب ويقول الكلام المتفق مع تعاليم الآب والمتحد معه لذلك فهو - حسب رايهم - واحد مع الآب. ولقد تجرأ البعض[10] منهم أن يكتب هذا وأن يقوله.

وماذا يكون أكثر غرابة وعدم معقولية من هذا؟ لأنه لو كان الإبن والآب هما واحداً، بحسب رأيهم هذا، وإن كان الكلمة مثل الآب بهذه الطريقة، فينتج عن هذا أن الملائكة أيضاً والكائنات الأخرى الأعلى منا، الرؤساء والسلاطين والعروش والربوبيات، وما نراه نحن مثل الشمس والقمر والنجوم كل هؤلاء سيكونوا أبناء أيضاً مثل الإبن، وينبغى أن يقال عنهم أيضاً عندئذ أنهم هم والآب واحد، وأن كلا منهم هو صورة الله وكلمته. لأن ما يريده الله يريدونه هم أيضاً، وهم لا يختلفون معه لا فى الحكم ولا فى التعليم، بل هم يخضعون لخالقهم فى كل شئ. لأن كل هذه الكائنات لم تكن تستطيع أن تبقى فى مجدها لو لم تشأ ما شاءه الآب أيضاً. فمثلاً إن الذى لم يبق "فى مجده" بل ضل بعيداً سمع الكلمات: "كيف سقطت من السماء يا إنوسفوروس[11] المشرق فى الصباح؟" (أش12:14س).

وإن كان الأمر هكذا، فكيف يكون هو وحده الابن الوحيد الجنس ولكلمة والحكمة؟ أو كيف، بينما يوجد كثيرون مثل الآب، يكون وحده هو الصورة؟ لأنه يوجد كثيرون مثل الآب بين

---

[10] يشير هنا إلى أستيريوس الأريوسى.

[11] هذه الكلمة وردت هكذا فى الترجمة السبعينية للعهد القديم باليونانية وتعنى نجم الصباح.

البشر، فكثيرون جداً صاروا شهداء ومن قبلهم الرسل والأنبياء وقبلهم أيضاً البطاركة، وكثيرون أيضاً، الآن يحفظون وصية المخلص إذ هم رحماء مثل الآب الذى فى السموات" (لو6:36) وحفظوا الوصية "تمثلوا بالله كأولاد أحباء وأسلكوا فى المحبة، كما أحبنا المسيح أيضاً" (أفسس5:1-2).

وكثيرون أيضاً تمثلوا ببولس كما تمثل هو أيضاً بالمسيح: (1كو11:1) ولكن ولا واحد من هؤلاء هو الكلمة، أو الحكمة، أو الأبن الوحيد الجنس، أو الصورة. ولم يتجرأ أى واحد منهم أن يقول "أنا والآب واحد" (يو10:30)، أو "أنا فى الآب والآب فى" (يو14:10)، بل قد قيل عنهم جميعاً "من مثلك بين الآلهة يا ربى؟" (مز85:8) و "من يشبه الرب بين أبناء الله"؟ (مز89:6)، ولكن قيل عن الإبن وحده إنه الصورة الحقيقة والطبيعية للآب.، ورغم أننا قد خلقنا حسب الصورة ودعينا صورة الله ومجده فذلك ليس من ذواتنا، بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقى الساكن فينا، الذى هو كلمته، والذى صار جسداً لأجلنا فيما بعد، لكى ننال نحن نعمة هذه التسمية.

11- وحيث أن فكرة الآريوسيين هذه تظهر غير لائقة وغير معقولة، لذلك فمن الضرورى أن يشير هذا التماثل وهذه الوحدة الى جوهر الإبن نفسه، لإنه إن لم يكن كذلك، فيظهر أنه لا يملك شيئاً أكثر من المخلوقات كما سبق أن قيل، كما أنه لن يكون مثل الآب، ولكنه سيكون كالآب فى تعاليمه وهو يختلف عن الآب فى أن الآب هو آب، أما التعاليم والوصايا فهى للآب . وإن كان الآبن هو مثل الآب فى التعاليم والوصايا فحينئذ – بحسب رأيهم يكون الآب، أباً بالأسم فقط، والأبن لن يكون صورة الآب بالضبط، أو بالحرى سيرى أنه ليس له ذاتية الآب أو مماثلته. لأنه أية مماثلة أو ذاتية تكون لمن هو مختلف تماماً عن الآب؟ فبولس رغم أنه علم مثل المخلص، إلا أنه لم يكن مثله فى الجوهر. فهؤلاء لأن عندهم مثل هذه الأفكار، يتكلمون بإفتراءات كاذبه بينما الإبن والآب هما واحد، كما قلنا سابقاً. وبنفس الطريقة فالابن هو مثل الآب ذاته وهو منه كما يمكن أن نرى وأن نفهم أن أى ابن هو من أبيه، وكما يمكن أن نرى أن الشعاع من الشمس.

فإذن إن كان الإبن هكذا، فحينما يعمل الإبن، يكون الآب هو العامل، وعندما يأتى الإبن إلى القديسين فالآب هو الذى يأتى فى الإبن، كما وعد حينما قال "تأتى أنا والآب ونصنع عنده منزلا" (يو14:23).

لأنه فى الصورة يرى الآب وفى الشعاع يكون النور. لذلك أيضاً، وكما قلنا قبل ذلك بقليل، فحينما يعطى الآب النعمة والسلام، فالإبن أيضاً يعطيهما، كما يكتب بولس فى كل رسالة له قائلاً "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح" (رو1:7، 1كو1:3، أفسس2،1). لأنه توجد نعمة واحدة وهى نفس النعمة التى من الآب فى الإبن، كما أن نور الشمس وشعاعها هما واحد، وكما أن إنارة الشمس تحدث بواسطة الشعاع. وهكذا أيضاً حينما يدعو الرسول لأهل تسالونيكى فهو يقول لهم "والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدى طريقنا اليكم" (1تس3:11) فهو بهذا يحفظ وحدة الآب والإبن معاً. فهو لم يقل يهديان، كما لو كانت هناك نعمة مزدوجة تعطى من مصدرين: هذا وذاك، بل قال "يهدى" لكى يبين أن الآب يهدى بواسطة الإبن.، كل هذا كان ينبغى أن يخجل منه هؤلاء عديمو التقوى، ولكنهم لا يخجلون

12- لأنه لو لم تكن هناك وحدة ولو لم يكن الكلمة هو وليد جوهر الآب كالشعاع من النور، وكان الإبن مختلفاً فى الطبيعة عن الآب، لكان يكفى أن الآب وحده هو الذى يعطى طالما أنه لا يشترك أى واحد من المخلوقات مع خالقه فى العطاء. ولكن كما هى حقيقة الأمر، فأن مثل هذا العطاء يظهر وحدة الآب والإبن. فلا أحد يصلى إلى الله والملائكة أو الى أى مخلوق آخر، لكى ينال منهم شيئاً وليس هناك من يدعو قائلاً "ليت الله والملاك يعطيك" ولكنه يطلب من الآب والإبن، بسبب وحدتهما ووحدة عطائهما. لأن ما يعطى أنما يعطى بواسطة الإبن. وليس شئ هناك إلا ويعمله الآب بالإبن. لأنه هكذا تكون النعمة مضمونة لمن ينالها. فإن كان رئيس الأباء يعقوب وبينما هو يبارك حفيديه أفرايم ومنسى قال ".. الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم. الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين.." (تك48:15-16)، فهو لم يقرن أى من أولئك الذين خلقوا بالطبيعة ملائكة، مع الله خالقهم. كما أنه لم يهمل ذكر الله الذى رعاه، ولكنه طلب البركة لحفيديه من الملاك. لأنه بقوله "الذى خلصنى من كل شر، لم يشر إلى ملاك مخلوق، بل إلى كلمة الله، الذى قرنه مع الآب فى طلبته، الذى بواسطته يخلص الله أولئك الذين يريدهم لأنه إذ يعرف أنه يدعى أيضاً ملاك المشورة العظمى للآب (أش9:6س)، قال إنه ليس هناك سواه هو الذى يعطى البركة ويخلص من الشر. فهو لم يرغب فى البركة من الله لأجل نفسه بل لأجل حفيديه من الملاك الذى سبق وطلب منه قائلاً "لن أتركك إن لم تباركنى" (تك32:26). لأن هذا "أى الملاك" كان هو الله حسب ما يقول هو نفسه "قد رايت الله وجها لوجه " (تك32:30). وهذا هو الذى صلى اليه ان يبارك ايضا إبنى يوسف . فما يناسب الملاك إذن هو ان يخدم اوامر الله ، كثيرا ما كان يذهب امامهم لكى يطرد الاموريين ،وكان يرسل ليحرس

الشعب فى الطريق . لكن ليست هذه هى اعماله بل هى اعمال الله الذى امــره وارســله ،وهــو ايضا الذى يخلص الذين يريد ان يخلصهم ، لهذا فهو لم يكن سوى الرب الإله نفسه الذى قد رآه والذى قال "ها انا معك واحفظك حيثما تذهب " (تك 15:28) .

ولم يكن آخر سوى الله هو الذى قد رآه ، وهو الذى لم يسمح للابان أن يخدعــه وأمــره ألايتكلم بالشرمع يعقوب ، ولم يكن أيضا سوى الله الذى توسل هو اليه قائلا, نجنى من يد أخــى عيسو . لأنى خائف منه،(تك 32 :11 س)، ولأنه أيضا حينما تحدث مع زوجاته عن لابان قــال "الله لم يسمح له أن يصنع بى شراً" (تك7:31).

13- وداود أيضاً لم يدع إلهاً آخر سوى الله نفسه لكى ينجيه عندما صرخ إليه قائلاً "إلــى الرب فى ضيقى صرخت فإستجاب لى يا ربى نج نفسى من شفاة الكــذب مــن لــسان غــش" (مز120:1-2). وأيضاً فى اليوم الذى أنقذه فيه الرب من يد جميع أعدائه ومن يد شــاول رنــم بكلمات الفرح شاكراً الله هكذا "أحبك يا رب يا قــوتى. الــرب صــخرتى وحــصنى ومنقــذى" (مز18:1-2). وبولس بعد أن إحتمل إضطهادات كثيرة. لم يقدم الشكر إلى أحد ســوى إلــى الله وحده إذ قال ومن الجميع من أنقذنى الرب الذى لنا رجاء فيــه أنــه ســينجى" (2 تيمــو11:3، 2كو10:1).

كما أن إبراهيم وإسحق لم يباركا أحداً سوى الله فإسحق طلب لأجل يعقــوب قــائلاً "والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب ويعطيك بركة أبى إبــراهيم" (تك3:28-4). ولكن إن كان الله وحده وليس سواه هو الذى يبارك وينجى. وليس سوى الــرب نفسه هو الذى أنقذ يعقوب، وهو الذى أعطى لرئيس الآباء البركة التى طلبهــا لأحفــاده، فمــن الواضح أنه ليس هناك من يمكن أن يقرنه مع الله فى صلاته سوى كلمة الله، الذى بــسبب هــذا دعاه الملاك. بسبب أنه هو وحده الذى يعلن الآب.

وهذا ما فعله الرسول أيضاً حينما قال "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح" (رو7:1). فإنه بهذا صارت البركة مضمونة بسبب عدم إنفصال الآب عن الإبن" ولأجــل ذلــك فالنعمة التى تعطى منهما هى واحدة وهى هى نفسها فرغم أن الآب يعطى النعمة، إلا أنها توهب بالإبن، ورغم أن الإبن هو الذى يهب النعمة، فالأب هو الذى يعطيها بالإبن وفــى الإبــن. لأن الرسول يقول وهو يكتب إلى أهل كورنثوس "أشكر الهى فى كل حين من جهتكم على نعمــة الله المعطاة لكم فى يسوع المسيح" (1كو4:1).

وهذا يمكن أن نراه فى مثال النور والشعاع، لأن ما ينيره النور إنما ينيره بشاعه، وما يشعه الشعاع فهو يأخذه من النور، هكذا أيضاً حينما يرى الإبن يرى الآب، لأنه هو شعاع الآب، ولذلك فالأب والإبن هما واحد.

14- ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للأشياء الصائرة والمخلوقة لأن ما يعمله الآب، لا يعمله أى ملاك أو أى مخلوق آخر، لأن ولا واحد من هؤلاء هو علة فاعلة بل هو من الأشياء المخلوقة، وفضلاً عن ذلك فلأنها بعيدة ومنفصلة عن الإله الوحيد ومختلفة فى الطبيعة وهى أيضاً مخلوقة، فإنها لا تستطيع أن تشترك مع الله فى إعطاء النعمة.

ولا يستطيع أحد عندما يرى ملاكاً أن يقول أنه قد رأى الآب لأن الملائكة كما هو مكتوب - هى أرواح خادمة، مرسلة للخدمة (عب14:1)، وهم يبشرون بالعطايا التى توهب من الآب بواسطة الكلمة إلى أولئك الذين ينالونها.

كما أن الملاك نفسه عند ظهوره يعترف أنه قد أرسل من سيده كما إعترف جبرائيل عندما ظهر لزكريا وأيضاً عندما ظهر لمريم والدة الإله. ومن يرى منظر ملائكة يعرف أن قد رأى ملاكاً، أما إبراهيم فقد ظهر له الله. فالذين رأوا الله ثم يقولوا أنهم رأوا ملاكا، كما أن الذين رأوا ملاكاً اعتبروا أنهم قد رأوا الله لأن الأشياء المخلوقة هى بالطبيعة تختلف إختلافاً عظيماً بل بالحرى إختلافاً كاملاً عن الله الخالق، ولكن يحدث أحياناً أن يرى ملاك، والذى يراه يسمع صوت الله "كما حدث فى العليقة" لأن ملك الرب ظهر فى لهيب نار من العليقه" (خر2:3)، وكلم الله موسى من العليقه قائلاً "أنا إله إبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب" (خر6:3)، ولكن الملاك لم يكن هو إله إبراهيم÷ بل الذى تكلم فى الملاك هو الله فالذى ظهر هو ملاك، ولكن الله تكلم فيه. لأنه كما تكلم الله مع موسى فى الخيمة من خلال عمود السحاب هكذا أيضاً يظهر الله ويتكلم من خلال الملائكة، مثلما تكلم إلى يشوع بن نون بواسطة ملاك (يش2:1الخ).

فإن ما يتكلم به الله من الواضح أنه يتكلم به بواسطة الكلمة وليس بواسطة آخر. فالكلمة ليس منفصلاً عن الآب، ولا هو مغاير لجوهر الآب ولا هو غريب عنه فالأعمال التى يعملها، هى أعمال الآب وصنعه لكل الأشياء هو واحد معه، فالعطايا التى يعطيها الإبن، هى عطايا الآب. والذى قد رأى الإبن، عرف أنه برؤيته له، لم ير ملاكاً، ولا شخصاً أعظم من الملائكة، ولا أى مخلوق على وجه العموم، بل قد رأى الآب نفسه والذى يسمع الكلمة يعرف أنه يسمع الآب نفسه. فذلك الذى يستنير بواسطة الشعاع، يعرف أنه سيتنير بواسطة الشمس.

15- ولأن الكتاب الإلهى يريدنا أن نفهم هذا الأمـــر هكـــذا، فقـــد أعطانـــا مثـــل هـــذه الإيضاحات، التى تكلمنا عنها أعلاه، والتى بها يمكننا أن نخجل اليهود الخائنين من جهـــة وأن ندحض إدعاءات الوثنيين من الجهة الأخرى، الذى يفكرون ويظنون أننا حينمـــا نتحـــدث عـــن الثالوث، فنحن نعترف بإلهة متعددة، لأنه كما يتضح من المثال، نحن لا نقدم ثلاثـــة بـــدايات أو ثلاثة آباء كما يفعل إتباع ماركيون ومانى حيث أننا لن نعرض صورة ثلاثة شموس بـــل شـــمس واحدة وشعاع واحد. وهناك نور واحد من الشمس فى الشعاع، وهكذا فنحن لا نعرف سوى بداية واحدة ونعترف أن الكلمة خالق الكل ليس له مصدر آخر للاهوته سوى لاهوت الإلـــه الوحيـــد، لأنه مولود منه. وعندئذ يكون الآريوسيون بالحرى هم المتهمين بتعدد الإلهة أو الإلحاد، لأنهـــم يهذون بالقول عن الإبن أنه مخلوق وغريب عن جوهر الآب وأن الروح (القدس) أيضاً جاء من العدم. لأنهم أما أن يقولوا إن الكلمة ليس هو الله، أو يقولوا إنه الله، حسب المكتوب – لكنه لـــيس من ذات جوهر الآب وهكذا يقدمون لنا آلهة متعددة بسبب إختلاف الإلهـــة فـــى النـــوع.. إلا إذا تجاسروا أن يقولوا أنه (الابن) يدعى إلهاً بالمشاركة فقد مثل كل المخلوقات الآخرى.

- وحتى إن كان هذا هو تصورهم، فلا يزالون على كفرهم. حيث أنهم يعتبـــرون الكلمـــة كواحد من بين المخلوقات. ولكن لا تدع هذا الفكر يأتى إلى أذهاننا إطلاقاً. لأنه توجـــد خاصـــية واحدة للألوهية، وهى موجودة أيضاً فى الكلمة. وإله واحد هو الآب، كائن بذاته، إذ هـــو فـــوق الكل وظاهر فى الإبن حيث أنه يتخلل كل الأشياء بواسطته، وظاهر فى الروح حيث أنـــه فيـــه يعمل فى كل الأشياء بواسطة الكلمة. لأننا بهذا نعترف أن الله واحد فى ثالوث، ونقـــول أن هـــذا الإيمان بالإله الواحد فى ثالوث هو أكثر تقوى جداً من التعليم بإله الهراطقـــة بأنواعـــه الكثيـــرة وأجزائه العديدة.

16- لأنه إن لم يكن الأمر كذلك، وكان الكلمة مخلوقاً ومصنوعاً من العدم، فهو إما أنـــه ليس إلها حقيقياً، بسبب أنه هو نفسه واحد من المخلوقات، أو إن كانوا يدعونه إلها خجـــلاً مـــن الكتاب المقدس، فينبغى بالضرورى أن يقولوا بوجود إلهين، واحد خالق، والآخر مخلوق ووجب أن يعبدوا ربين واحد غير مخلوق والآخر مخلوق ومصنوع، وينبغى أن يكون لهم إيمانان إيمان بالإله الحقيقى وإيمان بواحد آخر صنعوه وصاغوه بأنفسهم ودعوه إلهاً. ويتبع بالـــضرورة عـــن هذا عمى عظيم جداً حتى أنهم حينما يسجدون لغير المخلوق فهم يرفضون المخلـــوق، وحينمـــا ينشغلون بالإله المخلوق، فإنهم يتحولون عن الإله الخالق، لأنهم لا يستطيعون أن يـــروا الواحـــد موجوداً فى الآخر، لأن طبيعتهما وأفعالهما هى غريبة ومختلفة عن بعضها.

وبمثل هذا الأفكار فإنهم سوف يتجهون بالتأكيد إلى عدد أكثر من الآلهـــة لأن هـــذه هـــى محاولات أولئك الذين قد إبتعدوا عن الله الواحد.

ولماذا إذن إن كان للآريوسيين هذه التصورات والآراء، لا يحسبون أنفسهم مع الـــوثنين؟ لأنهم مثل هؤلاء تماماً يعبدون المخلوق بدلاً من الله خالق الكل.

لكنهم يتحاشون الإسم الوثنى لكى يخدعوا غير المحنكين رغم أنهم يضمرون فى بـــاطنهم فكراً مشابهاً لفكر الوثنين. لأن فلسفتهم التى تعودوا أن يلحوا عليها هى: "نحن لا نقـــول بـــأثنين غير مخلوقين". وواضح أنهم يقولون هذا لكى يخدعوا البسطاء لأنهم بإعترافهم ذاتـــه، نحـــن لا نقول باثنين غير مخلوقين، والآخر غير مخلوق، ورغم أن الوثنين يعبدون إلهـــاً غيـــر مخلـــوق وآلهة أخرى كثيرة مخلوقه، فهؤلاء الآريوسيون يعبدون واحداً غير مخلوق وواحداً مخلوقاً، وهم فى هذا لا يختلفون عن الوثنين. لأن الإلهى الذى يدعونه مخلوقاً هو واحد بين كثيرين، وأيـــضاً الآلهة الكثيرة عند الوثنيين لها نفس طبيعة هذا الواحد، لأن الواحد والكثيرين هم مخلوقات.

إنهم تعساء وتعاستهم هى بالأكثر ناتجة عن تفكيرهم ضد المسيح لأنهم قـــد ســـقطوا مـــن الحق وقد فاقوا اليهود فى حياتهم بإنكار المسيح وهم منغمسين مع الوثنيين ومبغضين له ملهـــم، عابدين الخليقة والآلهة المتعددة، لأنه يوجد إله واحد وليس كثيرون. وواحد هو كلمتـــه وليـــسوا كثيرين لأن الكلمة هو الله، وهو وحده صورة الآب. ولأنه هو كذلك فإن الملخص نفـــسه جعـــل اليهود يضطربون من هذه الكلمات: "الآب نفسه، الذى أرسلنى، هو يشهد لى، لم تسمعوا صـــوته قط ولا أبصرتم هيئته وليست لكم كلمته ثابتة فيكن، لأن الذى أرسله هو لستم أنتم تؤمنـــون بـــه" (يو5:37-38). لذلك جمع بين "الكلمة" والهيئة، لكى يوضح أن كلمة الله هو نفسه صورة ورسم وهيئة أبيه، وأن اليهود الذين لم يقبلوا الذى تكلم إليهم لم يقبلوا الكلمة الذى هو صورة الله. وهـــذا أيضاً هو ما قد رآه يعقوب رئيس الآباء الذى نال البركة من الله وأعطى إسم إسرائيل بدلاً مـــن يعقوب كما يشهد الكتاب الإلهى، قائلاً: "وأشـــرقت لـــه الـــشمس إذ عبـــر فنوئيـــل (وجـــه الله) (تك31:32) وهذا هو نفسه الذى قال: "من رآنى فقد رأى الآب" و "أنا فـــى الآب والآب فـــى" و "أنا والآب واحد" (يو9:14، 10- يو30:10).

هكذا فإن الله واحد والإيمان بالآب والإبن هو واحد. لأنه رغم إن الكلمة هو إله، فـــالرب إلهنا رب واحد. لأن الإبن هو خاص بذلك الواحد وغير منفصل عنه بحسب ذاته وخـــصوصية جوهره.

17- ومع ذلك فالأريوسيون إذ لا يخجلون من هذا فإنهم يجيدون: (ليس كما تقولون أنتم، بل كما نريد نحن لأنه طالما قد رفضتم آرائنا السابقة، فأننا قد أخترعنا رأياً جديداً، وهـذا هـو: كما أن الابن والآب واحد، وكما أن الآب هو فى الإبن والإبن فى الآب، هكذا أيضاً نحن واحـد فيه.

لأن هذا هو ما كتب فى الإنجيل بحسب يوحنا، وهو ما طلبه المـسيح لأجلنـا فـى هـذه الكلمات "ايها الآب القدوس إحفظهم فى أسمك الـذين أعطيتنـى ليكونـوا واحـداً كمـا نحـن" (يو11:17). وبعدها بقليل يقول "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيـضاً مـن أجـل الـذين يؤمنون بى بكلامهم، ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك" ليكونوا هـم أيـاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيته ليكونوا واحداً كما أننـا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فى ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتنى" (يـو20:17-23). وبعد ذلك فهؤلاء الرجال الخادعون، كأنهم قد وجدوا حجـة يـستندون عليهـا يـضيفون ويقولون (إن كنا نصير نحن واحداً فى الآب، هكذا أيضاً يكون الإبن واحداً مـع الآب، وهكـذا أيضاً يكون هو فى الآب، فكيف تنتجون أنتم من قوله "أنا والآب واحد"، "أنا فى الآب والآب فىّ، أن الإبن هو من ذات جوهر الآب ومساوٍ له؟ وهذا يتطلب إما إن نكون نحـن أيـضاً مـن ذات جوهر الآب أو أن يكون هو غريب عن هذا الجوهر مثلما نحن غرباء عنه). هكذا يثرثر هؤلاء الناس، ولكنى لا أرى فى كلامهم الباطل هذا سوى وقاحة غير معقولة وجنون شـيطانى، حيـث أنهم يقولون مثله "نصعد إلى السموات – ونصير مثل العلى" لأن ما يعطى للإنسان بالنعمة هـذا يجعلونه مساوياً لإلوهية المعطى لأنهم إذ سمعوا أن البشر سيصيرون أبناء الله، ظنـوا أنفـسهم مساويين للابن الحقيقى بالطبيعة والآن أيضاً إذ يسمعون من المخلص: "لكى يكونوا واحداً، كمـا نحن"، يخدعون أنفسهم ويتوقحون لدرجة أنهم يظنون أنهم سيصيرون مثل الإبن فى الآب والآب فى الإبن، غير معتبرين بسقوط أبيهم الشيطان، الذى حدث نتيجة لمثل هذا التخيل.

18- فإن كان كلمة الله – كما قلنا مرات عديدة – هو مثلنا ولا يختلف عنا فى شئ سـوى فى الزمن، فهو يكون مساوياً لنا وله نفس الوضع الذى لنا عند الآب ولا ينبغى عندئذ أن يـدعى الإبن الوحيد ولا الكلمة الوحيد ولا كلمة الآب الوحيد، بل يطلق علينا جميعاً نفس الأسم بـصورة مشتركة نحن الذين نماثله، لأنه من الصواب أن الذين لهم طبيعة واحدة. يكون لهم نفس الإسـم، حتى لو أختلفوا الواحد عن الآخر من جهة الزمن لأن آدم كان إنساناً وبولس كان إنساناً وكل من يولد اليوم هو إنسان فالزمن ليس هو الذى يغير طبيعة الجنس (البشرى). إذن فإن كـان الكلمـة

يختلف عنا فقط من جهة الزمن، فعندئذ يجب أن نكون مثله هو ولكن حقيقة الأمـــر أننـــا لـــسنا الكلمة ولا الحكمة، كما أنه هو ليس مخلوقاً ولا مصنوعاً، وإلا فلماذا نصدر كلنا من واحد بينما هو الكلمة الوحيد؟ لكن إن كانت هذه الأمور تناسبهم لكى يتكلموا بها، اما نحن فـــلا يناســـبنا أن نفكر فى تجاديفهم. ومع ذلك رغم أن هذه الآيات لا تحتاج إلى توضيح ضلالهم هنا أيـــضاً فـــى فهم هذه الآيات وعدم أرثوذوكسيتهم سوف نشرحها بعد قليل وبحسب ما استلمناه من الآباء.

لقد إعتاد الكتاب الإلهى أن يستخدم أمور الطبيعة كصور وإيضاحات لأجل البـــشر وهـــو يفعل هذا لكى يشرح الأفعال الأختيارية للبشر من هذه الأمور الطبيعية، وهكذا يظهر سلوكهم إما شريراً أو باراً ففى حالة ما هو شرير مثلاً يأمر قائلاً: "لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم" إنـــسان فى كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التى تباد" (مز20:49) وأيضاً يقول "صـــاروا أحـــصنة معلوفـــة سائيه" (إرميا8:5). والمخلص لكى يكشف هيرودوس قال "قولوا لهذا الثعلب" (مت32:13). ومن الجهة الأخرى حذر تلاميذه، ها أنا أرسلكم كحملان فى وسط ذئاب فكونـــوا حكمـــاء كالحيـــات وودعاء كالحمام" (مت16:10). وهو قال هذا لا لكى نصير بالطبيعة حيوانـــات، أو حيـــات، أو حمام لأنه هو نفسه لم يخلقنا هكذا، والطبيعة نفسها لا تسمح بذلك، ولكن لكى نتجنب الإنفعـــالات الحيوانية الخاصة بأحدها من ناحية، ومن ناحية أخرى نكون واعين لمكر ذلك الحيـــوان الآخـــر لكى لا نخدع به، ولكى نكتسب أيضاً وداعة الحمام.

19- وأيضاً فإن المخلص إذ يتخذ من الأمور الإلهية نماذج يقدمها للإنسان فإنـــه يقـــول "كونوا رحماء كما أن أباكم الذى فى السموات هو رحيم"، "كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فـــى السموات هو كامل" (لو36:6، مت48:5). وهو قد قال هذا ليس بالطبع لكى نـــصير مثـــل الآب، لأنه مستحيل علينا نحن المخلوقين الذين قد خلقنا من العدم أن نصير مثل الآب. ولكن كما أنـــه أمرنا "لا تصيروا كالحصان" لا لئلا نكون كالحيوانات غير الناطقة، بل لكى لا نتمثل بهـــا فـــى نقص العقل، هكذا فقد قال "كونوا رحماء مثل الآب، لا لكى نصير مثل الله. بل لكى عندما نتطلع إلى أعماله الصالحة فإن ما نفعله من أعمال حسنة إنما نفعله ليس لأجل الناس بل لأجلـــه هـــو، حتى تأخذ مكافأتنا منه وليس من الناس.

فرغم أنه يوجد أبن واحد حسب الطبيعة وهو الإبن الحقيقى الوحيد الجنس، هكـــذا نـــصير نحن أيضاً أبناء، لكن ليس مثله هو بالطبيعة وبالحق، بل بحسب نعمة ذاك الذى دعانـــا، ورغـــم أننا بشر من الأرض، ومع ذلك نصير آلهة ليس مثل الإله الحقيقى أو كلمته، بل كما قد ســـر الله الذى قد وهبنا هذه النعمة، هكذا أيضاً نصير رحماء مثل الله، لا بأن نصير مساويين لله ولا بـــأن

نصير صانعى خيرات بالطبيعة وبالحقيقة، لأن صنع الخير فى ذاته ليس من أنفسنا بل هو من الله – بل لكى نوزع على الآخرين الخيرات الموهوبة لنا من الله بالنعمة، دون أن نفرق بين الناس، بل مقدمين خدمتنا الرحيمة بإتساع للجميع، لأننا بهذه الطريقة وحدها وليس بأى طريقة أخرى نصير متشبهين به، حينما نقدم للآخرين العطايا التى ننالها منه. وكما أننا نقدم معنى واضحاً ومستقيماً لهذه الآيات، هكذا يكون الأمر أيضاً بالنسبة للآيات التى ذكرت من يوحنا، فهو لا يقول إننا ينبغى أن نصير مثلما أن الإبن هو فى الآب: فمن أين يمكن أن يكون هكذا طالما الإبن هو كلمة الله وحكمته، بينما نحن قد جبلنا من الآرض، والإبن هو بالطبيعة وبالجوهر هو الكلمة والإله الحقيقى. لأنه هكذا يتكلم يوحنا: "ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية". (1يو5:20).

ونحن به نصير أبناء بالتبنى وبالنعمة، مشتركين فى روحه، لأنه مكتوب "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه" (يو1:12). لذلك فهو أيضاً الحق لأنه يقول: "أنا هو الحق" (يو14:6). وفى مخاطبته لأبيه قال: "قدسهم فى حقلك كلامك هو حق" (يو17:17). أما نحن فبالتمثيل به نصير فاضلين وأبناء.

20- لذلك فهو لم يقل "لكى يكونوا واحداً كما نحن" لكى نصير كما هو بل كما أنه هو، وهو الكلمة، هو فى أبيه، هكذا نحن ايضاً ونحن متخذين أباه مثالاً لنا ونحن ناظرون إليه، نصير واحداً فيما بيننا فى الوفاق ووحدة الروح. ولا نكون فى إختلاف مثل الكورنثيين، بل يكون لنا قلب واحد ونفس واحدة مثل أولئك الخمسة آلاف الذين ذكروا فى سفر الأعمال (أنظر أع4:4، 32) والذين كانوا كواحد. فنحن طبعاً لسنا أبناء كالإبن، ولسنا آلهة مثله هو نفسه، ونحن لسنا مثل الآب، بل نصير "رحماء كآلاب". وكما سبق أن قلنا، فإننا عندما نصير واحداً، كما أن الآب والإبن هما واحد، فنحن لن نصير واحداً مثلما أن الآب هو فى الإبن بالطبيعة وكذلك الإبن فى الآب، بل بحسب ما يتفق مع طبيعتنا الخاصة ومن هذا يمكننا أن نتشكل وأن نتعلم كيف يجب أن نصير واحداً، مثلما تعلمنا أيضاً أن نكون رحماء. لأن الأشياء المتماثلة هى بالطبيعة واحدة بعضها مع بعض، لأن كل ذى جسد يولد منه جسد من نوعه، أما الكلمة فهو مختلف عنا، ولكنه مثل الآب، ولذلك فهو واحد مع أبيه بالطبيعة والحق. وأما نحن فلأننا من جنس واحد (لأن كل البشر قد جاءوا من واحد، وطبيعة البشر جميعهم هى واحدة)، فإننا نصير واحداً بعضنا مع بعض بالنية الصالحة، واضعين أمامنا مثال الوحدة الطبيعية للابن مع الآب. ولأنه كما علمنا الوداعة بنفسه قائلاً "تعلموا منى، لأنى وديع ومتواضع القلب" (مت11:29) لا لكى نصير

مساويين له، لأن هذا غير ممكن - بل بنظرنا إليه نظل دائماً ودعاء. هكذا هنا أيـــضاً، فهـــو إذ يريد أن تكون لنا نيه صالحة بعضنا نحن بعض ونكون ألفتنا حقيقية وثابتة وغير مضمحلة، فإنه يجعل لنا من نفسه مثالاً ويقول "لكى يكونوا واحداً، كما نحن، تلك الوحدة التى لا أنفصال فيهـــا، أى، بتعلمهم منا تلك الطبيعة غير المنقسمة، فإنهم بنفس الطريقه يحفظون الوفـــاق فيمـــا بيـــنهم. وكما سبق أن قلنا، فإن التمثل بالأمور الطبيعية يمكن أن يتحقق بين الناس بصورة مأمونة، حيث أنهم يظلون بطبيعتهم غير متغيرين، بينما سلوك الناس هو قابل للتغير، فيمكن للإنـــسان بنظـــره نحو غير المتغير بالطبيعة، أن يتجنب ما هو ردئ، وأن يعيد تشكيل نفسه على حسب الـــصورة الأفضل ولهذا لسبب أيضاً يكون للكلمات: "ليكونوا هم أيضاً واحد فينا" معنى مستقيم.

21- فلو أنه كان من الممكن عندئذ أن نصير مثل الإبن فى الآب، لكان ينبغى أنا تكـــون الكلمات هكذا "لكى يكونوا هم واحداً فيك" مثلما أن الإبن هو فى الآب، ولكنه لم يقـــل الكلمـــات هكذا. بل بقوله "فينا" أظهر المسافة والإختلاف بيننا وبين الإبن إذ أنه هو وحده كائن فـــى الآب كالكلمة الوحيد والحكمة الوحيد، ولكننا نحن موجودون فى الإبن وبواسطته موجودين فـــى الآب. وبكلامه هكذا قصد هذا فقط: هكذا يمكن أن يصيروا واحداً فيما بينهم بتمثلهم بوحدتنا، كما أننـــا واحد بالطبيعة وبالحق، وإلا فإنهم لن يستطيعوا أن يصيروا واحداً إلا إذ تعلمـــوا مـــن الوحـــدة الموجودة فينا. ويمكن أن نتعلم أيضاً من بولس الرسول هذا المعنى الذى تعطيه كلمة "فينا" عندما نسمعه يقول "فهذا أيها الأخوة حولته تشبيها إلى نفسى وإلى أبلوس من أجلكم لكى تتعلموا "فينـــا" أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب" (1كو6:4). وبالتالى فإن كلمة "فينا" لم تذكر عن وجود الإبـــن فى الآب، بل تقدم مثلاً وصورة بدلاً من أن يقول، "فليتعلموا منا". لأنه كما أن بولس يقدم مثـــالاً للوحدة إلى أهل كورنثوس، هكذا تكون وحدة الإبن والآب هى مثال تعليم ودرس للجميع، يمكـــن أن يتعلموا بواسطته عن طريق تطلعهم إلى الوحدة الطبيعية لـــلآب والإبـــن - كيـــف يجـــب أن يصيروا فيما بينهم واحداً فى الفكر. ولكن إن كانت كلمة "فينا" تحتاج أن تفسر بمعنى آخر فيمكن عندئذ أن تعنى أنه: بواسطة قوة الآب والإبن يصيروا واحدا ويقولوا "قولاً واحداً" (1كـــو10:1)، لأن هذا غير ممكن بدون معونة الله وهذا المعنى يمكننا أن نجده أيضاً فى الكتب الإلهيـــة مثـــل "بالله نصنع ببأس" (مز12:60) و "بك ندوس أعداءنا" (مز5:44). فواضح إذن أننـــا باســـم الآب والإبن نصير أشداء، ونصير واحداً ممسكين برباط المحبة بقوة. وفى نفس المعنى يقـــول الـــرب "وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد" (يو22:17).

فهنا أيضاً لم يقل "لكى يكونوا فيك مثلما أنا فيك".

بل قال "كما نحن" و

الآن هو الذى يقول "كما" لا يقصد أن يتحدث عن وحدى الطبيعى بل يتحدث عن صورة ومثـــال أما ينبغى أن يكونوا عليه.

22- إذن فالكلمة هو واحد حقاً وفعلاً بالطبيعة مع الآب أما نحن فقد أعطى لنا أن نتـــشبه بهذه الطبيعة كما سبق أن قيل لانه أضاف مباشرة "أنا فيم وأنت فى، ليكونوا مكملين إلى واحـــد" (يو23:17). ولذا فالرب هنا يطلب لأجلنا شيئاً أعظم وأكمل لأنه واضح أن الكلمة قد جاء لكـــى يكون فينا لأنه قد لبس جسدنا. وبقوله "وأنت أيها الآب فى" فهو يعنى "لأنى أنا كلمتـــك، وحيـــث أنك أن فى، بسبب كونى كلمتك، وأنا فيهم بسبب الجسد، ومنك يتحقق خلاص البشر فىّ" لألـــك أسأل أن يصيروا هم أيضاً واحداً، بسبب الجسد فىّ وبحسب كماله لكى يصيروا هم أيضاً كاملين إذ يكون لهم وحدة مع الجسد، ولأنهم قد صاروا واحداً فى هذا الجسد، فـــإنهم كمـــا لـــو كـــانوا محمولين فىّ، يصيرون جميعاً جسداً واحداً وروحاً واحداً (أفسس 4:4) ولكى ينمو الجميع إلـــى إنسان كامل (أفسس 13:4) لأننا جميعاً، بأشتراكنا فيه، نصير جسداً واحداً، لأننا نحـــصل علـــى الرب الواحد فى أنفسنا. وطالما أن هذه الفقرة لها هذا المعنى فإننا بذلك ندحض هرطقـــة أعـــداء المسيح بوضوح أكثر. وأنى أكرر القول، إنه لو كان قد قال ببساطة وبصورة مطلقة "لكى يكونوا واحداً فيك" أو "لكى يصيروا هم وأنا واحداً فيك" لكان أعداء الله قد وجدوا بعض العذر رغم نـــه عذر قبيح، ولكن حقيقى الأمر أنه لم يتكلم هكذا بالمرة بل قال "كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنـــا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" (يو21:17). وبالإضافة إلى ذلك فإنه بإستعماله لفظة "كما" فهو يشير إلى أولئك الذين يصيرون مثله كا هو فى الآب ولكن عن بعد، عن بعد لـــيس مـــن جهـــة المكان ولكن من جهة الطبيعة لأنه من جهة المكان ليس هناك شيئ بعيداً عن الله، لكن من جهـــة الطبيعة وحدها فإن كل الأشياء هى بعيدة عن الله. وكما قلت سابقاً فإن إستعمال الأداه "كمـــا" لا يعنى التطابق، ولا المساواة ولكن يعنى التشبه بمثال ينظر إليه من جهة معينة.

23- وهذا ما يمكننا أن نتعلمه أيضاً من المخلص نفسه، حينما يقول "لأنه كما كان يونـــان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلـــب الأرض (مـــت40:12). فإن يونان طبعاً لم يكن مثل المخلص، ويونان لم ينزل إلى الجحيم، ولا الحوت كان هو الجحـــيم كما أن يونان حينما ابتلعه الحوت لم يخرج أولئك الذين كان الحوت قد سبق وإبتعلهم قبلـــه، بـــل هو وحده قد خرج من الحوت حينما قذفه. لذلك فليس فى لفظه "كما" هنا أى تطابق أو مـــساواة، بل شيئان مختلفان، فهى توضح نوعاً من التشابه فى حالة ونان من جهة الأيام الثلاثـــة، وبـــنفس

الطريقة فحينما يقول الرب "كما" فإننا نحن أيضاً لا نصير كالإبن فى الآب ولا كالآب فى الإبن، لأننا جميعاً نصير واحداً فى الفكر وإتفاق الروح مثلما أن الآب والإبن واحد.

والمخلص سيكون مثل يونان فى بطن الأرض ولكن بما أن المخلص ليس هو يونان، وليس كما أبتلع يونان هكذا نزل المخلص إلى الجحيم، ولكنه أمر موازى، هكذا بنفس الطريقة فإن صرنا نحن أيضاً واحداً، مثلما أن الإبن هو فى الآب، فسوف لا نصير مثل الإبن ولن نكون مساويين له، لأن الإبن ونحن أمران متوازيان. ولهذا السبب فإن لفظة "كما" تنطبق علينا، حيث أن الأشياء التى تختلف عن بعضها فى الطبيعة، يمكن أن تصير مشابهة لبعضها البعض حينما ينظر إليها من جهة علاقة معينة تربط بينها. ولذلك فالإبن نفسه هو فى الآب ببساطة وبدون أية تحفظات، لأن هذه الصفة هى له بالطبيعة. أما بالنسبة لنا نحن، إذ ليست لنا هذه الصفة بالطبيعة.

فالأمر يحتاج إلى صورة أو مثال، لكى يمكن أن يقول عنا "كما أنك أنت فى وأنا فيك". وهو يقول "وحينما يصيرون كاملين هكذا حينئذ يعرف العالم أنك أنت أرسلتنى" لأننى لو لم أكن قد جئت وليست جسدهم، أما أستطاع أحد منهم أن يصير كاملاً، بل لظل الجميع فى الفساد. أيها الآب إعمل إذن فيهم" وكما أعطيتنى أن ألبس هذا الجسد فأعط روحك لهم، لكى يصيروا هم أيضاً بالروح، واحداً وأن يصيروا مكمّلين فىّ. لأن تكميلهم يدل على أن كلمتك قد سكن بينهم، وعندما يراهم العالم كاملين وحاملين لله، فسوف يؤمن أنك أنت أرسلتنى وأنى أنا قد جئت هنا – لأنه من أين يأتيهم الكمال لو لم أكن أنا كلمتك قد أخذت جسدهم، وصرت إنساناً، وقد أكملت العمل الذى أعطيتنى إياه أيها الآب إلى النهاية؟ قد إكتمل العمل، لأن البشر، وقد أفتدوا من الخطية لا يبقون أمواتاً بعد. بل إذ يتألهون فإنهم بنظرهم إلىّ يصير لهم رباط المحبة فيما بينهم.

24- ونحن إذ قد تكلمنا كثيراً محاولين شرح كلمات هذه الفقرة، فإن يوحنا المبارك فى رسالته أظهر معنى هذه الفقرة بكلمات قليلة وأكثر كمالاً من كلماتنا، فهو يظهر خطأ فهم أولئك الجاحدين، ويعلمنا كيف نصير نحن فى الله والله فينا ويعلمنا أيضاً كيف نصير واحداً فيه، وكيف أن الإبن يختلف عنا فى الطبيعة، وبذلك يوقف الآريوسيين عن التفكير أنهم سيصيرون كالإبن، لئلا يسمعوا القول "أنت إنسان لا إله" (حز2:28)، لا تقس نفسك بإنسان غنى وأنت فقير" (أم4:23س). فيوحنا يكتب هكذا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه، (1يو13:4). لذلك، فبسبب نعمة الروح الذى أعطى لنا نصير نحن فيه وهو فينا.

وحيث أن روح الله فينا لذلك فبواسطة سكناه فينا وبسبب حصولنا على الروح نحسب أننا فى الله وهكذا يكون الله فينا.

إذن نحن لا نصير فى الآب مثلما أن الإبن كائن فى الآب، لأن الإبن ليس كائناً فى الآب بمجرد إشتراكه فى الروح ولا هو ينال الروح بل بالحرى هو نفسه الذى يهب الروح للجميع وليس الروح هو الذى يوحد الكلمة مع الآب بل بالحرى فإن الروح يأخذ من الكلمة. والإبن كائن فى الآب، ككلمته الذاتى وشعاعه، أما نحن فبدون الروح القدس فإننا نكون غرباء عن الله، وعن طريق اشتراكنا فى الروح نصير بالروح الموجود فينا والذى يسكن فينا، ونحن نحتفظ به فى داخلنا عن طريق الإقرار كما يقول يوحنا "من إعترف أن يسوع هو ابن الله فالله يسكن فيه وهو فى الله" (1يو15:4).

إذن ما هى المشابهة وما هى المساواة التى لنا مع الإبن؟ بل إن آراء الأريوسيين تدحض من كل ناحية وخاصة بكلمات يوحنا، أن الإبن هو فى الآب بطريقة، أما نحن فنصير فى الآب بطريقة أخرى. وأننا لن نصير مثل الكلمة أبداً، ولا الكلمة سيصير مثلنا، إلا إذا تجاسروا كما يفعلون عادة – فقالوا إن الإبن بإشتراكه فى الروح وبتقدمه فى الفضيلة صار هو نفسه فى الآب. ولكن حتى مجرد قبول هذا الفكر هو كفر شديد لأن الكلمة كما سبق أن قيل هو الذى يعطى إلى الروح، وكل ما هو للروح فقد أخذه من الكلمة.

25- إذن فعندما يقول المخلص "كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" فهو لا يعنى بهذا أنه سوف يصير لنا تطابق معه. لأن هذا قد أوضحه فى مثال يونان ولكن كلامه هذا هو طلب إلى الآب لكى يهب الروح بواسطته للذين يؤمنون به، والذى به نصير فى الله، كما كتب يوحنا وبهذا نكون متحدين فيه. وحيث أن الكلمة هو فى الآب، والروح يعطى من الكلمة فهو يريد أن ننال نحن الروح، لكى عندما نناله يصير لنا روح الكلمة الذى هو فى الآب، وبسبب الروح سوف نتمجد نحن أيضاً ونصير واحداً فى الكلمة، ومن خلاله فى الآب. وعندما يقول "كما نحن" فهو لا يعنى شيئاً آخر سوى أن يسأل أن تصير نعمة الروح المعطاه للتلاميذ ثابتة بلا تزعزع، لأن ما هو للكلمة بالطبيعة فى الآب كما قلت سابقاً يريد أن يعطيه لنا بواسطة الروح بلا رجعة. وهذا ما عرفه الرسول، فقال "ن سيفصلنا عن محبة المسيح؟" (رو35:8). لأن "هبات الله ونعمة دعوته هى بلا ندامه" (رو29:11). إذن فالروح هو الكائن فى الله ولسنا نحن بذواتنا، ولكن حيث أننا نصير أبناء وآلهة بسبب الكلمة الذى فينا هكذا أيضاً سنصير فى الإبن وفى الآب، وسوف نحسب أننا صرنا واحداً فى الأبن وفى الآب، بسبب وجود

ذلك الروح فينا نحن وهو الروح الذى يكون فى الكلمة الكائن فى الآب، إذن حينما يسقط إنسان من الروح بسبب شر ما فإنه عندما يتوب ويرجع عن سقطته فالنعمة تظل مستمرة بلا ندامة فى أولئك الذين يريدونها. وإلا فإن من سقطته فالنعمة تظل مستمرة بلا ندامة فى أولئك الذين يريدونها. وإلا فإن من سقط لا يعود يكون فى الله (بسبب أن الروح القدس البارقليط الذى هو فى الله قد هجر هذا الإنسان) ولكن ذلك الخاطئ يصير فى ذلك (الروح الشرير) الذى أخضع نفسه له كما حدث فى حالة شاول لأن روح الله فارقه، وبغته روح ردئ (1صم14:16). وعندما سمع أعداء الله هذا الكلام فيجب عليهم أن يخجلوا ولا يعودوا يساوون أنفسهم بالله، ولكنهم لا يفهمون لأن "الشرير لا يفهم معرفة" (أم7:29)، ولا يحتمون كلمات التقوى بل يجدونها ثقيلة على مسامعهم.

الفصل السادس والعشرون

مقدمة لشرح آيات من الأناجيل عن التجسد

26- أنظروا أنهم لا يملون من تكرار كلمات الكفر، بل إذ قد تقسوا مثل فرعون فإنهم يحنما يسمعون ويرون صفات المخلص البشرية فى الأناجيل، فإنهم يتناسون تماماً مثل بولس الساموساطى أبوه الآب اللاهوتية للإبن، وبوقاحة لسان يجعجعون قائلين كيف يمكن أن يكون الإبن من الآب بالطبيعة، ويكون واحداً معه فى الجوهر؟ وهو الذى يقول "دفع إلىّ كل سلطان" (مت18:28) و "الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو22:5)" "الآب يحب الإبن وقد دفع كل شئ فى يده، الذى يؤمن بالإبن له حياة أبدية" (يو35:3). وأيضاً "كل شئ قد دفع إلى من أبى. وليس أحد يعرف من هو الآب إلا الإبن ومن آراد أن يعلن له" (لو2:10) وأيضاً "كل ما يعطينى الآب فإلى يقبل" (يو37:6). إنهم يعلقون على هذه الآيات ويقولون (إن كان الإبن كما تقولون، ابناً بالطبيعة أما كان فى إحتياج أن يأخذ، بل كل شئ يكون له بالطبيعة كإبن" أو كيف يكون هو القوة الطبيعية والحقيقية للآب وهو فى وقت الآلام قال "الآن نفسى قد إضطربت وماذا أقول؟ أيها الآب نجنى من هذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة أيها الآب مجد إسمك فجاء صوت من السماء مُجدت ,امجد أيضاً" (يو27:12-28). وأيضاً قال كلمات مشابهة فى مرة أخرى "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس" (مت39:26) و"عندما قال يسوع هذا إضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى" (يو21:13). ويحاول هؤلاء الأشرار ويقولون لو كان هو القوة لما كان قد خاف، بل لكان قد أعطى قوة لآخرين بالأحرى، ويضيفون قائلين لو كان هو حكمة الآب الحقيقية والذاتية، فلماذا كتب عنه "وكان يسوع ينمو فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لو52:2). وبالمثل "عندما جاء إلى نواحى قيصرية فيلبس سأل التلاميذ، "ماذا يقول الناس أنى أنا" (مت13:16). وأيضاً حينما جاء إلى بيت عنيا سأل عن لعازر "أين دفن" (أنظر يو18:11). وأيضاً قال لتلاميذه "كم رغيفاً عندكم؟" (مر38:6). ويقولون كيف إذن يكون هو الحكمة وهو ينمو فى الحكمة، وكان يجهل الأمور التى كان يسأل عنها الآخرين؟. ويقولون أيضاً "كيف يمكن أن يكون هو كلمة الآب

الذاتى الذى بدونه لم يكن الآب أبداً والذى به يخلق الآب كل الأشياء كما تعتقدون أنتم، وهو الذى قال على الصليب "إلهى إلهى، لماذا تركتنى" (مت46:27). وقبل ذلك صلى "مجد إسمك" (يو28:12) وأيضاً "مجدنى أنت أيها الآب بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو5:17). وأعتاد أن يصلى فى البرارى وأوصى تلاميذه أن يصلوا لئلا يدخلوا فى تجربة وقال لهم "الروح نشيط أما الجسد فضعيف". (مت 41:26). وأيضاً "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة ولا الأبن" (مر32:13).

ويبنى التعساء على هذا أيضاً ويقولون "إن كان الإبن بحسب رأيكم هو موجود أزلياً مع الله أما كان قد جهل ذلك اليوم بل لكان قد عرفه بإعتباره الكلمة، ولما كان قد تركه ذلك الذى هو كائن معه، وأما كان قد سأل أن ينال المجد طالما أن له هذا المجد مع الآب" ولما كان قد صلى على الإطلاق إذ أن الكلمة ليس فى أحتياج إلى أى شئ، ولكن حيث أنه مخلوق وواحد من الموجودات لذلك تكلم هكذا وكان محتاجاً إلى ما لم يكن عنده، لأنه معروف عن المخلوقات أنها تسأل الأشياء التى لا تملكها، وتحتاج إليها.

27- هذه هى الأشياء التى يدّعى بها الجاحدون فى أحاديثهم ويتكلمون بها، ولكن طالما هم يفكرون هكذا فكان يمكنهم أن يسألوا بجرأة أكثر قائلين "لماذا صار الكلمة جسداً على الاطلاق؟ ويمكن أن يضيفوا أيضاً "كيف يمكن وهو الله، أن يصير إنساناً؟" أو "كيف يمكن لمن لا جسد له أن يلبس جسداً؟ أو يمكن أن يتكلموا بطريقة يهودية أكثر من قيافا ويسألون "عموما، لماذا يجعل المسيح نفسه إلها وهو إنسان؟" لأن أقوالاً مثل هذه وغيرها قد قالها اليهود وتذمروا عليه. والآن فإن الآريوسيين حينما يقرأونها هم أيضاً لا يؤمنون، وقد سقطوا فى التجاديف، والآن فمن يمتحن أقوال هؤلاء وأولئك فبالتأكيد سيجد أن كليهما يتفقان فى عدم الإيمان ويتساويان فى كفرهما وفى جرأتهما ضدنا ويشتركان معاً فى محاربتهما لنا، لأن اليهود يقولون "كيف يمكن وهو إنسان أن يكون إلهاً؟" (أنظر يو33:10).. أما الآريوسيون فيقولون "لو كان إلها حقيقياً من إله، فكيف يمكن أن يصير إنساناً؟" واليهود عثروا عندئذ وأستهزءوا قائلين "لو كان إبن الله، لما كان قد قبل الصليب؟" والآريوسيون يتفقون مع اليهود ويهاجموننا ويقولون "كيف تتجاسرون أن تقولوا" إن الذى هو الكلمة الذاتى جوهر الآب، هو الذى أخذ جسداً، وإحتمل كل هذا؟ وأيضاً، فبينما حاول اليهود أن يقتلوا الرب لأنه قال إن الله أبوه، وأنه جعل نفسه معادلاً لله، وأنه يعمل الأعمال التى يعملها الآب، فإن الآريوسيين أيضاً ليس فقد قد تعلموا أن ينكروا أن الكلمة مساو لله وأن الله هو الآب الطبيعى للكلمة، بل هم أيضاً يحاولون أن يقتلوا من يؤمنون

بهذا. وبينما يقول اليهود "أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذى نحـــن عـــارفون بأبيـــه وأمـــه؟" (يو42:6) فكيف يقول إذن "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو58:8) و"أنى نزلت من الـــسماء؟" (يو42:6)، فالآريوسيون بدورهم يجيبون بنفس الأقوال ويقولون "كيف يمكن أن الذى ينام ويبكى ويطلب أن يعر كإنسان، يكون هو الكلمة أو هو الله؟" ولهذا فالفريقان فقدا صوابهما وأنكرا أزلية الكلمة وإلوهيته متعللين بتلك الصفات البشرية التى نسبها المخلص لنفسه بـــسبب الجـــسد الـــذى لبسه.

28- هذا الضلال إذن هو يهودى، بل هو يهوذاوى بحسب خبل يهوذا الخائن، فدعهم إذن يعترفون صراحة أنهم تلاميذ قيافا وهيردوس، بدلاً من أن يلبـــسوا اليهوديـــة اســـم المـــسيحية، ولينكروا تماماً كما سبق أن قلنا حضور المخلص فى الجسد. لأن هذا الإنكار أقرب إلى بدعتهم. أو إن كانوا يخافون أن يتهودوا علناً ويختتنوا بسبب خضوعهم للملك قسطنطيوس، ولأجل أولئك الذين خدعوا منهم، إذن فدعهم لا يقولون ما يقوله اليهود، لأنهم إن تخلوا عن الأسم فيلزمهم عن حق أن يرفضوا العقيده المرتبطة بالاسم. لأننا نحن مسيحيون، أيها الأريوســـيون - نعـــم نحـــن مسيحيون ونحن نتميز بأننا نعرف جيداً ما تقوله الأناجيل عن المخلص ونحـــن لا نرجمـــه مـــع اليهود عندما نسمع عن ألوهيته وأزليته، كما أننا لا نعثر معكم، فى الكلمات المتواضـــعة التـــى قالها من أجلنا كإنسان. إذن فإن أردتم أن تصيروا مسيحيين فأرفضوا جنون آريـــوس، وآذانكـــم التى تلوثت بكلمات التجديف طهروها بكلمات التقوى، عالمين بمجرد تـــوقفكم عـــن أن تكونـــوا آريوسيين فإنكم ستكفون أيضاً عن خبث اليهود المعاصرين. وعندئذ سيشرق عليكم نـــور الحـــق ويخرجكم من الظلمة، ولن تعودوا عندئذ تعيروننا بأعتقادنا بوجود أثنين أزليين. بل ســـتعترفون أنتم أنفسكم أن الرب هو ابن الله، الحقيقى بالطبيعة وليس مجرد أنه أزلى، بل وتعترفون أنه كائن فى الآب، ومع الآب أزلياً لأن هناك موجودات تسمى أزلية، وهو صانعها لأنـــه مكتـــوب فـــى المزمور 7:33س "أرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وأرتفعى أيتها الأبواب الدهرية"، فمن الواضـــح أن هذه الأبواب (الدهرية = الأزلية) قد صنعت بواسطته. ولكن إن كان هو خالق حتى الأشـــياء الدهرية فمن منا يمكنه أن يشك فى أنه هو سابق على تلك الآشياء الدهرية؟. وبالتالى يتبرهن أنه الرب ليس من كونه أزلياً فقط بل ولكونه ابن الله. فهو كإبن هو غير منفصل عن الآب ولم يكـــن هناك زمن ما لم يكن فيه موجوداً، بل كان كائناً على الدوام، ولأنه صورة الآب وشـــعاعه، فلـــه أزلية الآب. والآن فما قلناه أعلاه بإختصار يكفى لكى يبرهن على سوء فهمهم للآيات التى تعللوا بها وأن ما يتعللون به الآن من الأناجيل فهم بالتأكيد يعطونه تفسيراً غير صـــحيح، ويمكننـــا أن

نرى هذا بسهولة إذا وضعنا امامنا كهدف ذلك الإيمان الذى نمسك بـــه نحـــن المـــسيحيون وأن نستخدمه كقاعدة كما يعلمنا الرسول فى قراءة الكتب الموحى بها (أنظر 2تيمو16:3). لأن أعداء المسيح لأنهم جهلوا هذا الهدف، قد ضلوا عن طريق الحق، وأصطدموا بحجر الصدمة (أنظروا رو33:9)، مفكرين أموراً مخالفة عما كان ينبغى أن يفكروا به.

29- والآن فإن هدف الكتاب المقدس وميزته الخاصة كما قلنا مراراً هو أنه يحوى إعلاناً مزدوجاً عن المخلص: أى أنه كان دائماً إلهاً وأنه هو الإبن إذ هو كلمة الآب وشعاعه وحكمتـــه، ثم بعد ذلك أتخذ من أجلنا جسداً من العذراء مريم والجة الإله، وصار إنساناً. وهذا الهدف نجـــده فى كل الكتب الموحى بها، كما قال الرب نفسه" "فتشوا الكتب" وهى تشهد لى" (يو39:5). ولكـــن لكى لا أكثر فى الكتابة بجمع كل الآيات عن هذا الموضوع فسوف أكتفى بذكر عينه مـــن هـــذه الآيات. فأولاً، يقول يوحنا "فى البدء كان الكلمة.والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كـــان فى البدء عند الله، كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو1:1-3). وبعد ذلـــك يقـــول "والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب" (يو14:1). ثـــم يكتـــب بولس "الذى إذ كان فى صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون مساوياً لله، لكنه أخلى نفسه آخـــذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتـــى المـــوت موت الصليب" (فى2:6-8).

ويمكن لأى إنسان أن يبتدئ بهذه الآيات ويجتاز خلال كل الكتاب فسوف يـــرى كيـــف أن الآب قال له فى البدء "ليكن نور" (تـــك3:1)، و"لـــيكن جلـــد" (تـــك6:1) و "لنعمـــل الإنـــسان" (تك26:1)، ولكن ملء الأزمنه أرسله إلى العالم، "لا لكى يدين العالم بل لـــيخلص بـــه العـــالم" (يو17:3). وكما قد كُتب "ها العذراء تحبل وتلد إبناً ويدعون إسمه عمانوئيل الـــذى تفـــسيره الله معنا" (متى23:1).

30- إذن فمن يقرأ للكتاب الإلهى، سيعرف هذه الآيات من كتـــب العهـــد القـــديم، ومـــن الأناجيل أيضاً وسيدرك أن الرب صار إنساناً، لأن الكتاب يقول "الكلمة صار جسداً وحل بيننـــا" (يو14:1). والكلمة صار إنساناً، ولم يأت إلى داخل إنسان، لأن هذا ضرورى أن نعرفـــه، لـــئلا يحدث أن هؤلاء الناس عديمى التقوى يضلون ثم يخدعون الآخرين بهذا الضلال ظانين أنه كمـــا إعتاد الكلمة أن يأتى إلى القديسين فى العصور السابقة، هكذا يأتى الآن أيضاً فى إنسان ويقدمـــه ويظهر نفسه بواسطته كما أظهر نفسه فى السابقين، لأنه لو كان الأمر كذلك، وأنه ظهر فقط فى

إنسان، لما كان هذا أمراً غريباً، ولما تعجب إولئك الذين رآوه قائلين "مـــن أيـــن هـــو؟" (أنظـــر يو9:19) و "لماذا وأنت أنسان تجعل نفسك إلهاً" (يو33:10) لأنهم قد أعتادوا على مجـــئ كلمـــة الله إلى الأنبياء من الكلمات التى تقول "صارت كلمة الرب، إلى هذا أو ذاك من الأنبياء. ولكـــن الآن، حيث إن كلمة الله، الذى به كان كل شئ، قبل أن يصير ابن الإنسان، ووضع نفسه، أخـــذاً صورة عبد، لذلك صار صليب المسيح لليهود عثرة أما لنا نحن، فالمسيح هو قوة الله وحكمة الله (أنظر 1كو24:1).

لأنه كما قال يوحنا "الكلمة صار جسداً" فمن عادة الكتاب أن يدعو الإنسان بلفظـــة جـــسد، كما يقول بيوئيل النبى "أسكب روحى على كل جسد" (يوئيل4:3) وكما قال دانيال إلى أستياجيس "لست أعبد الأصنام المصنوعة بالأيدى بل الإله الحى الذى خلق السماء والأرض، وله ســـلطان على كل جسد" (تتممة دانيال5). فكل من دانيال ويوئيل يدعو جنس البشر جسداً.

31- ومنذ القدم صار هذا مع كل واحد من القديسين لكى يقدس أولئـــك الـــذين يقبلونـــه بإستفادة، ولكن حينما ولد أولئك الأنبياء، لم يقل عندئذ أنه (الكلمة) صار جسداً، ولا حينما تألموا قيل أنه هو نفسه قد تألم. ولكن حينما جاء بيننا من مريم فى نهاية الآزمنة لأجل إبطال الخطيـــة، لأنه هكذا سر الآب أن يرسل إبنه الذاتى "مولوداً من أمرأة مولوداً تحت النـــاموس" (غـــلا4:4)، وعندئذ قيل إنه أخذ جسداً وصار إنساناً، وبهذا الجسد تألم لأجلنا كما يقول بطرس "فإذ قـــد تـــألم المسيح لأجلنا بالجسد" (1بط1:4)، لكى يقبل الكل ويؤمنوا أنه كان إلهاً على الدوام، مقدساً أولئك الذين أتى إليهم، ومنظماً لكل الآشياء حسب مشيئة الآبن ولكنه فيما بعد صار لأجلنا إنساناً وحـــل جسدياً، كما يقول الرسول "اللاهوت حل فى الجسد" (كو9:2)، وهذا يساوى القـــول "إذ هـــو الله، فقد أخذ له جسداً خاصاً به وصار إنساناً لأجلنا مستخدماً هذا الجسد كأداة.

وبناء على هذا فقد قيل عن خواص الجسد إنها خاصة به حيث أنه كان فى الجسد، وذلـــك مثل أن يجوع، وأن يعطش، وأن يتألم، وأن يتعب، وما شابهها من الأمور المختـــصة بالجـــسد، بينما من الناحية الآخرى فإن الآعمال الخاصة بالكلمة ذاته مثل إقامة الموتى، وإعادة البصر إلى العميان، وشفاء المرأة نازفة الدم، قد فعلها بواسطة جسده، والجسد خدم أعمـــال اللاهـــوت، لأن اللاهوت كان فى الجسد ولأن الجسد كان جسد الله. وحـــسناً قـــال النبـــى "حملهـــا" (أش4:53، مت17:8) ولم يقل أنه "شفى ضعفاتنا" لئلا إذ تكون هذه الضعفات خارج جسده هو" وهو يـــشفيها فقط – كما كان يفعل دائماً فإنه يترك البشر خاضعين للموت، ولكنه حمل ضعفاتنا، إحتمـــل هـــو نفسه خطايانا، لكى يتضح أنه قد صار إنساناً لأجلنا، وأن الجسد الذى حمل الضعفات، هو جسده

الخاص، وبينما هو نفسه لم يصبه ضرر أبداً "بحملة خطايانا فى جسده على الخشبه" كما قال بطرس (1بط24:2) فإننا نحن البشر قد أفتدينا من أوجاعنا وأمتلأنا ببر الكلمة.

32- وتبعاً لذلك فعندما تألم الجسد، لم يكن الكلمة خارجاً عنه، ولهذا السبب يقال إن الآلام خاصة بالكلمة، وعندما عمل أعمال الآب لاهوتياً، لم يكن الجسد خارجاً عنه، لكن الرب عمل هذه الأعمال فى هذا الجسد نفسه، لهذا فحينما صار إنساناً، قال "إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنا فيه" (يو37:10-38). ولذلك فحينما كان هناك إحتياج لإقامة حماة بطرس التى كانت مريضة بالحمى، فإنه مد يده إليها بشرياً ولكنه أوقف المرض إلهياً (أنظر مت14:8)، وفى حالة الإنسان المولود أعمى فإن تفل البصاق كان من الجسد ولكن فتح عين الأعمى بالطين إليهاً. وفى حالة لعازر فإنه كإنسان دعاه بصوت بشرى، ولكنه إلهياً كإله، أقام لعازر من الأموات، وهذه الأمور حدثت هكذا وظهرت هكذا لأنه كان قد أتخذ لنفسه جسداً حقيقياً وليس خيالياً، ولذا كان يليق بالرب بأخذه جسداً بشرياً أن يكون لهذا الجسد كل الخواص التى للجسد، حتى كما نقول إن الجسد كان جسده هكذا أيضاً إن آلام الجسد كانت خاصة به هو (الكلمة) رغم أنها لم تمسه بحسب لاهوته. فلو كان الجسد هو جسد خاص بآخر غيره لكانت الآلام قد نسبت لهذا الآخر أيضاً، ولكن إن كان الجسد هو جسد الكلمة "لأن الكلمة صار جسداً" (يو14:1) فبالضرورة إذن تنسب آلام الجسد أيضاً الذى له هذا الجسد والذى له تنسب بالأحرى هذه الآلام مثل المحاكمة، والجلد والعطش، والصلب، والموت وضعفات الجسد الآخرى أى جسد ذاك الذى له أيضاً النصرة والنعمة.

لهذا السبب إذا كان ضرورياً وملائماً أن لا تنسب مثل هذه الآلام لآخر، بل للرب، حتى تكون النعمة أيضاً منه ولا نصير نحن عابدين لآخر ولا إنساناً عادياً، بل ندعو الإبن الطبيعى والحقيقى لله، الذى صار إنساناً وهو فى نفس الوقت الرب والإله والمخلص.

33- فمن الذى لا يعجب بهذا الكلام؟ أو من هو الذى لا يوافق أن هذا الأمر هو إلهى بالحقيقة؟ لأنه لو كانت أعمال إلوهية الكلمة لم تحدث بالجسد، أما كان الإنسان قد تأله، وأيضاً لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تنسب للكلمة، لما كان الإنسان قد تحرر منها تماماً، وحتى لو أنها كانت قد توقفت لفترة قليلة كما قلت سابقاً[11] لظلت الخطية وظل الفساد باقيان فى الإنسان، كما كان الحال مع الجنس البشرى قبله (قبل التجسد). ولهذا فهناك أمثلة لكثيرين قد تقدسوا

[11] أنظر المقالة الثانية فقرة 565 صفحة 89،فقرة 86 صفحة 106 الترجمة العربية – مركز دراسات الآباء 1987.

وتطهروا من كل خطية مثل أرميا الذى تقدس من الرحم (أنظر أر5:1) ويوحنا الـذى وهـو لا يزال جنيناً فى البطن أرتكض بإبتهاج عند سماع صوت مريم والدة الإله (أنظر لو44:1). ومـع ذلك فقد "ملك الموت من آدم إلى موسى، وذلك على الذين لم يخطئـوا علـى شـبه تعـدى آدم" (رو14:5)، وهكذا ظل البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرضـين للأوجـاع الخاصـة بطبيعتهم، أما الآن فإذ قد صار الكلمة إنساناً وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصة به، فلم تعـد تلك الأمور تمسك بالجسد بسبب الكلمة الذى قد جاء فى الجسد، فقد إنهزمت الأوجاع بواسـطته ومنذ ذلك الحين فصاعداً لم يبق الناس بعد خطاة وأمواتاً بحسب أوجاعهم بل قـد قـاموا بقـوة الكلمة، وصاروا غير مائتين وغير فاسدين وأقوياء دائماً. ومن هنا أيضاً فبينما ولد الجـسد مـن مريم والدة الإله، فإن الكلمة نفسه يقال إنه قد ولد، وهو الذى يعطـى بدايـة الوجـود للكائنـات الآخرى، لكى ينقل بداية تكويننا إلى نفسه، ولكى لا نرجع فيما بعد كمجرد تراب إلـى تـراب، ولكن بإرتباطنا بالكلمة الذى من السماء، فإننا نُحمل إلى السموات بواسطته. لذلك فإنـه بطريقـة مماثلة قد نقل إلى نفسه أوجاع الجسد الأخرى لكى يكون لنا شركة فلى الحياة الأبديـة - لـيس كبشر فيما بعد بل أيضاً لأننا قد صرنا خاصين بالكلمة.

لأننا لم نعد نموت بحسب بدايتنا الأولى فى آدم، بل بسبب أن بدايتنا وكل ضعفات الجـسد قد إنتقلت إلى الكلمة، فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبطلت بسبب ذاك الذى هـو كائن فينا، والذى قد صار لعنة لأجلنا. وكما أننا نحن جميعاً من الأرض وفى آدم نمـوت هكـذا نحن إذ نولد من فوق من الماء والروح فإننا فى المسيح نحيا جميعاً. فلا يعود الجسد فيمـا بعـد أرضياً بل يصير إلهياً كالكلمة، وذلك بسبب كلمة الله الذى لأجلنا صار جسداً.

34- ولكى ما نصل إلى معرفة أكثر دقة بخصوص عدم قابليـة طبيعـة الكلمـة للتـألم وبخصوص الضعفات التى نُسبت له بسبب الجسد، جيد لنا أن نستمع إلى الطوباوى بطرس لأنـه شاهد موثوق فيه عن المخلص. فهو يكتب فى رسالته هكذا "فإذ قد تألم المسيح لأجلنـا بالجـسد" (1بط1:4)، لذلك أيضاً فحينما يقال عنه، إنه يجوع، وإنه يعطش، وإنه يتعب، وإنـه لا يعـرف، وإنه ينام، وإنه يبكى، وإنه يسأل، وإنه يهرب، وإنه يولد، وإنه يتجنب الكأس، وعموماً أن يحتمل كل ما يخص الجسد، فينبغى أن يقال فى كل حالة من هذه الحالات إن (المسيح) عنـدما يجـوع ويعطش فإنه يفعل هذا بالجسد لأجلنا، وعندما يُقال إنه لم يعرف وإنه لُطم، وأنه تعب، فإنه فعـل هذه بالجسد لأجلنا، وأيضاً عندما يُقال إنه صعد وإنه قد ولد وكان ينمو فإن هذا كـان بالجـسد، وكذلك عندما يقال إنه خاف وأختبئ فإن هذا كان بالجسد، وكذلك عندما يقال إنه ضُـرب وإنـه

أخذ، فإن كل هذه كانت بالجسد لأجلنا. وعلى وجه العموم فكل مثل هذه الأمـور هـى بالجـسد لأجلنا. ولهذا السبب قال الرسول نفسه إن المسيح عندما تألم، لم يتـألم بلاهوتـه بـل "لأجلنـا بالجسد". لكى لا تعتبر هذه الآلام خاصة بطبيعة الكلمة ذاتها، بل هى خاصـة بطبيعـة الجـسد ذاتها، لذلك لا ينبغى أن يعثر أحد بسبب الأمور الإنسانية، بل بالحرى فليعرف، أن الكلمة نفـسه بالطبيعة هو غير قابل للتألم، ومع ذلك فبسبب الجسد الذى لبسه تقال عنه هذه الأمور، حيث أنها أمور خاصة بالجسد والجسد نفسه خاص بالمخلص، فبينما هو نفسه غير قابل للتـألم بالطبيعـة، ويظل كما هو دون أن تؤذيه هذه الآلام، بل بالحرى إذ هو يوقفها ويلاشـيها، فـإن آلام البـشر تتغير وتتلاشى فى ذلك الذى هو غير متألم، وحينئذ يصير البشر أنفسهم غير متألمين وأحـراراً من هذه الأوجاع إلى الأبد كما علم يوحنا قائلاً "وتعلمون أن ذاك أظهر لكى يرفع خطايانا وليس فيه خطية" (1يو5:3. ولأن الأمر هكذا فلا يعترض أحد من الهراطقة قائلاً "كيف يقـوم الجـسد وهو بالطبيعة مائت؟ وإن قام، فلماذا لا يجوع ويعطش ويتألم ويظل مائتاً؟ لأنه قـد صـار مـن التراب، فكيف يمكن أن تفارقه حالته الطبيعية؟ عندئذ يـستطيع الجـسد الآن أن يجـاوب هـذا الهرطوقى المقاوم ويقول: أنا من التراب، وبحسب الطبيعة مائت، ولكن فيما بعد قد صرت جسد الكلمة، وهو حمل أوجاعى، مع أنه هو نفسه غير متألم، هكذا صرت أنا حراً من هذه الأوجـاع ولم أعد بعد مستعبداً لها بسبب الرب الذى قد حررنى منها. لأنك إن كنت تعترض على تحررى من ذلك الفساد الذى هو من طبيعتى، فإنتبه أنك بهذا تعترض على أن كلمة الله قد أخذ صـورة العبد الخاصة بى. لأنه كما أن الرب بلبسه الجسد قد صار إنسانا، هكذا نحن البشر فإننـا نتألـه بالكلمة بأتحادنا به بواسطة جسده، ولهذا فنحن نرث الحياة الأبدية.

35- لقد وجدنا أنه من الضرورى أن نبحث هذه الأمور أولاً لكى حينما نـراه يعمـل أو يقول ما يليق بالله بواسطة جسده، فأننا نعرف أنه يعمل هكذا لأنه هو الله، وأيضاً إذا رأيناه يتكلم أو يتألم إنسانياً فإننا لا نجهل أنه بلبسه الجسد صار إنساناً ولذلك فهو عمل هذه الأعمال ويـتكلم هذه الكلمات. لأننا عندما نعرف ما هو خاص بكل منهما (الله والإنسان)، نرى ونفهـم أن هـذه الأمور التى تجرى من كليهما، إنما تتم بواسطة واحد، فإننا نكون مستقمين فى إيماننا، ولن نضل أبداً. أما إن كان أحد وهو ينظر إلى الأعمال التى يعملها الكلمة إلهياً، ينـرك الجـسد، أو وهـو ينظر إلى تلك الأمور الخاصة بالجسد، ينكر حضور الكلمة فى الجسد، أو بسبب ما هو بـشرى يفكر أفكاراً منخفضة عن الكلمة، مثل هذا يكون كبائع خمر يخلط الخمر بالماء فيحسب الـصليب عثرة. أو يكون مثل اليونانى، الذى يعتبر الكرازة جهالة. هذا هو إذن مـا أصـاب الآريوسـيين

أعداء الله، لأنهم بنظرهم إلى ما هو بشرى فى المخلص قد أعتبروه مخلوقاً. لذلك كان يلـــزمهم أيضاً عندما ينظرون أعمال الكلمة الإلهية أن ينكروا تجسده، وبذلك فإنهم يصنفون أنفـــسهم مـــع المانويين. فليتهم يتعلمون ولو متأخراً أن الكلمة صار جسداً، أما نحن فإذ نحتفظ بهدف الإيمـــان، ندرك أن ما يسيئون تفسيره، له تفسير سليم.

الفصل السابع والعشرون

شرح نصوص: يو3:35، مت11:27

"لأن الآب يحب الأبن، وقد دفع كل شئ فى يده"

"كل شئ قد دفع إلى من أبى"

(35 تكملة) – لأن "الآب يحب الأبن

www.christpal.com